منشورات معهد التاريخ

صدر في:

أ) سلسلة منشورات معهد التاريخ:

١ - الاب بولس صفير، مئوية دير سيدة النصر - نسبيه، نبذة تاريخية (الكسليك، ١٩٨٣).

٢ - الاب بولس صفير، بكركي في محطاتها التاريخية (١٧٠٣-١٩٩٠)، نبذة تاريخية مستندة الى المراجع والوثائق الاولية (الكسليك، ١٩٩٠).

٣ - مجموعة محاضرين، ذكرى مرور ١٣٠٠ سنة على تأسيس البطريركية المارونية (٦٨٥-١٩٨٥)، (الكسليك، ١٩٩٢).

٤ - مجموعة محاضرين، الذكرى المئوية الثانية لاستعادة البطريرك يوسف اسطفان الغوسطاوي صلاحياته البطريركية (١٧٨٥-١٩٨٥)، (الكسليك، ١٩٩٢).

٦ - الاباتي بولس نعمان، "البطريرك يوسف حبيش وموقفه من الكتابيين (البيبليشيين)"، من كتاب لمجموعة محاضرين حول الذكرى المئوية الثانية لولادة البطريرك يوسف حبيش (١٧٨٧-١٩٨٧)، (الكسليك، ١٩٩٢).

ب) سلسلة قصة الموارني:

١ - تأليف ورسم انطوان ومايقا باخوس، موران، الجزء الاول (الكسليك، ١٩٨١).

٢ - تأليف ورسم انطوان ومايقا باخوس، سمعان، الجزء الثاني (الكسليك، ١٩٨١).

ج) في سلسلة مكتبة جامعة الروح القدس:

1 - P. Paul Naaman, *Théodoret de Cyr et le Monastère de Saint Maron*, (nº III, 1971).
2 - P. Paul Sfeir, *Les Ermites dans l'Eglise Maronite*, (nº VI, 1986).
3 - Jean Raymond, *Essai de Bibliographie Maronite*, (nº IX, 1980).
4 - Eugène Roger, *La Terre Sainte ou Terre de Promission*. Introduction, Présentation et Annotation par Dr Elias Kattar, (nº XVIII, 1992).

٥ - الاباتي بولس نعمان، المارونية لاهوت وحياة، من جبال قورش الى سهول افاميا، (رقم ٢٧، ١٩٩٢).

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܩܕܡ ܒܝܡܐ
ܘܗܒܪܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܡܝܐ ܕܢܣܩ ܢܦܠ ܐܘ
ܚܠܦ ܠܗ ܫܡܝܐ ܟܠ ܕܢܣܩ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܡܝܐ ܟܡܐ
ܒܢܝܢܘܗܝ ܕܗܒܐ ܕܢܣܩ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

بطريركية انطاكية وسائر المشرق المارونية

كلمة صاحب الغبطة
مار نصرالله بطرس صفير
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

البركة الرسولية تشمل ولدنا العزيز الاب
ايوب شهوان، مدير معهد التاريخ في
جامعة الروح القدس - الكسليك، المحترم،

دفعتم الينا مجموعة من المحاضرات التي أُلقيت في ندوات مختلفة سابقة، كان قد دعا إليها معهد التاريخ الذي تتولّون اليوم إدارته، في جامعة الروح القدس، وذلك في مناسبة الذكرى المئوية لهذا أو ذاك من البطاركة الموارنة، سواء أكانت هذه الذكرى تتعلّق بمولدهم أم ارتقائهم السدّة البطريركية أم وفاتهم أم بحدث هام في حياتهم. وقد عقدتم العزم على نشر هذه المحاضرات في "سلسلة منشورات معهد التاريخ في جامعة الروح القدس، الكسليك"، وسألتمونا كلمة تتصدّر هذه الصفحات.

إنّا إذ نشكر لكم بادرتكم هذه، ولمعهد التاريخ اهتمامه بالتذكير بهذه المحطّات التاريخية التي تشكّلها الأحداث التي تخلّلت سيرة حياة هؤلاء البطاركة، وحتّى مجرّد مولدهم ووفاتهم، وقد كان لذلك أثره على مجرى تاريخ كنيستنا المارونية، وبالتالي على مجرى التاريخ اللبناني، نودّ ان نستحث همّة المسؤولين عن جامعة الروح القدس على المضي قدماً في ما اخذوا على عاتقهم نشره من تراثنا الديني والثقافي الذي تركه لنا اباؤنا واجدادنا القديسون. وهو سيكون خير حافز للاجيال الطالعة على الاقتداء بمثل السلف الصالح في احسان العبادة لله والتمسّك بالقيم الدينية وتحمّل المشقات والصعاب بالروح المسيحية الصافية التي تحسب حمل الصليب علامة رضى من الله لمشاركة ابنه الوحيد الذي افتدى العالم بما قاساه من الآم على هذا الصليب.

ولا يمكننا الآ ان نعرب عمّا نشعر به من اسف لدى رؤيتنا ان معظم ابناء كنيستنا وبخاصة الاكليريكيين من بينهم لم يتسنّ لهم ان يتعمّقوا في دراسة تاريخنا الكنسي لندرة الكتب التي تعمّقت في البحث عن هذا التاريخ وحاولت اظهار وقائعه على وجهها الصحيح، ولانصرافهم الى الاطلاع على تاريخ الكنيسة العام - وهذا لا شكّ واجب - دون التوقف عند ما ينبغي الانتباه اليه من تاريخنا وما يحمل لنا من امثولات وعبر.

وان ما حاول المحاضرون كشفه من غبار الزمن عن بعض من وجوه البطاركة الموارنة التي تناولوها بالدرس والتدقيق من البطريرك يوحنا مارون وهو اول البطاركة عندنا الى البطريرك يوسف ضرغام الخازن وما كان بينه وبين حافظ المكتبة الفاتيكانية السيد يوسف سمعان السمعاني الماروني ، والبطريرك يوسف حبيش والبطريرك يوسف اسطفان ، يدلّ دلالة واضحة على ان هناك ثابتة ، نكاد نقول ملازمة لكل منهم وان اختلفت الظروف وتبدّلت الامكنة وابتعدت المسافات الزمنية .

واذا قصرنا الكلام على ما دار الحديث عليهم من البطاركة في هذه الصفحات التي دفعتموها الينا يتبيّن لنا ان القديس يوحنا مارون هو من رسم الطريق لجميع خلفائه وهو طريق الجهاد والعذاب والكفاح المتواصل في سبيل المحافظة على الايمان واعلاء شأن القيم الانجيلية ، والابقاء على ما تكوّن لنا مع الزمن من تراث جليل وتقاليد محترمة . وان ما كان بين البطريرك يوسف ضرغام الخازن والسيد المطران يوسف سمعان السمعاني من تجاذب بشأن المجمع اللبناني وما لقيه البطريرك يوسف حبيش من جرّاء مكافحته البيبلشيين وما تعرّض له البطريرك يوسف اسطفان من نفي واذلال ثم من تكريم واجلال ، — ولم يكن ، في هذه المحن التي اصابتهم ، بعيداً عن التسبّب بها ، من كان يفترض فيهم ان يكونوا درعاً تقيهم

سهامـها – ، ان ذلك كله لمدعاة الى الاتعاظ والتمسّك بحبال الله وترسيخ اليقين ان من جعل اتكاله على غيـره تعالى ضلّ السبيل الى ما يبتغيه من خير للنفوس الموكولة اليه رعايتها.

وتبـقى هناك ثابتـة اخـرى وهي ان المسيـح افتـدى الناس بالصليب ومن اراد ان يتبعه على الطريق التي رسمها بات لزاماً عليه ان يحمل مثله ومعه هذا الصليب الذي بدونه لا قيامة مجيدة.

أخذ الله بيـدكم ووفـقكم الى ما فـيـه رضاه وخـيـر من سيتصفحون هذه الصفحات الملأى بالعبر والمشرقة بالرجاء.

بكركي في ٧ نيسان سنة ١٩٩٢

+ نصر الله بطرس صفير

+ [توقيع]

بطريرك انطاكية

وسائر المشرق

البطريرك يوسف اسطفان الغوسطاوي

مقدمة

الاب أيوب شهوان

بين اهداف جامعة الروح القدس الاساسية كشف التراث واحياؤه. وفي هذا الاطار بالذات تندرج احدى مهام معهد التاريخ الرئيسية. دأبنا الحثيث ان نكب على التراث فننشر كنوزه الدفينة وان نستجلي غوامض تجاربنا ومعاناتنا التاريخية فننظر الحقيقة ونستخلص منها العبر لاجيالنا الحاضرة والطالعة لعلّ الحاضر يستنير بخبرة الماضي لبناء المستقبل بوعي وبصيرة.

من الصفحات الاليمة في تاريخ الكنيسة المارونية قضية البطريرك يوسف اسطفان وما رافقها من مداخلات وانقسامات. مما لا ريب فيه ان التباين في الرأي والاختلاف في المواقف من علامات الحياة المتدفقة بنشاط وتحرّر، فيما قد تدلّ السكينة والهدوء، بل الركود، على الشلل والجمود والسير الى الاضمحلال والتلاشي. لكن الاختلاف وان عبّر طبيعياً عن الحيوية والحرية قد يكون مفتعلاً ويراد منه شقّ الصفوف المتراصة واثارة الاحقاد وتغذية الانقسامات. يبقى

ان السوء مهما استشرى واستشاط تدميراً لا يمكن ان يقضي على العزائم الصالحة لاسيما ابّان المحن، ولا ان يبيد حبّ الحقيقة وارادة الخير وتطوّر الحياة. ولا فرق في هذا المجال بين الماضي البعيد والقريب والحاضر المثقل الداكن.

في خضّم القرن الثامن عشر العاصف بالتقلبات الفكرية والدينية والسياسية في العالم شهدت الكنيسة المارونية أزمة عنيفة تمثلت بمداخلات خارجية وخلافات داخلية ادّت الى زعزعة الثقة في النفوس واقصاء البطريرك العلامة يوسف اسطفان (١٧٢٩-١٧٩٣) عن مزاولة سلطانه البطريركي مدة خمس سنوات من سنة ١٧٨٠ حتى ١٧٨٥.

لن ندخل في تفصيل الدوافع والظروف والملابسات التي رافقت هذه التنحية، فالمحاضرون قد أسهبوا في عرض مختلف الوقائع التي احاطت بالقضية وأشبعوها درساً وتحليلاً، لكن ما يهمنا الاشارة اليه في هذه المقدمة ان البطريرك يوسف اسطفان وقع ضحية الاصلاح الذي حاول انجازه في الطائفة بعد ثلاثين سنة على انعقاد المجمع اللبناني.

قدر كل المصلحين ان يتعرّضوا لسهام من يريدون

اصلاحهم ، والبطريرك يوسف اسطفان لا يختلف عن غيره في هذا المجال. لكن الغريب في الامر ان الاساقفة الذين تألبوا ضدّه لانه أراد ان يطبّق عليهم احكام المجمع اللبناني ، لم يتورعوا عن شتى الاتهامات بحقه وعن اللجوء الى ذراع الحكام المدنيين واصحاب النفوذ لتعزيز موقفهم العدائي منه. وما كان اخطر هذا التصرّف على وحدة الكنيسة المارونية وكرامتها! كيف لا وقد استدعى الانقسام تدخل السلطات الكنسية الرومانية وتجاوبها بادئ الامر مع المتحاملين على السيد البطريرك. وقد ارخى هذا الموقف بثقله على تماسك الشعب مع قياداته الدينية.

خطورة التدخل الاول انه يحكّم بالكنيسة والشعب على السواء قيادات مدنية لا تغيب عن ناظريها مصالحها وانانيتها ، على الرغم من غيرتها على الخير العام ، وهي غالباً ما ترتبط بقوى محلية مغايرة لا ترى الامور بمنظار الضمير المجرّد ، مما يعرّض الجماعة كلها للارتهان والانقسام والتخبط العشوائي. حتى الكنيسة العامة ، عندما تعرّضت في حقبات معينة من تاريخها لتجارب الـ Césaro-papisme وتسلّط ذوي النفوذ المدني ، قد ناءت واهنة تحت ثقل الهيمنة واستباحت وحدتها الانقسامات. فكيف بالكنائس المحلية عندما تتجاذبها

مآرب النافذين وتتحكّم بمصيرها المصالح الصغيرة المتقلبة والحساسيات؟ فرّق التدخل المدني صفوف رجال الاكليروس وشجّع بعضهم على النقمة والعصيان. وانعكست المداخلات الزمنية بذور شقاق على صعيد القيادة الدينية في الكنيسة، اذ ناصر بعض اعيان الطائفة مناوئي البطريرك لمآرب شخصية سياسية واقتصادية، فعقدوا المجامع والاجتماعات ووجهوا الرسائل الى الشعب والعرائض الى السلطات الرومانية، فما كان من هذه الاخيرة الا ان تدخّلت لحسم الموقف ودرء المزيد من الاخطار.

الا ان التدخل الروماني زاد في خطورة الموقف، اذ تضامن القصاد الرسوليون مع الاساقفة المناوئين للبطريرك وتشابكت مصالح هؤلاء بميول اولئك، والتقت كلها مع رغبة الحكام المدنيين في الاستيلاء على الاموال التي كانت تجمعت في دير بكركي، نظراً لشهرة الراهبة هندية عجيمي، واغداق الناس هباتهم على ديرها. فما كان من الجميع الا ان استرسلوا في الشكاوى على الراهبة هندية والوشاية بحق البطريرك، حتى آل الامر الى اصدار الكرسي الرسولي قراراً بالغاء رهبانية هندية وتنحية البطريرك يوسف اسطفان.

على الرغم من كل ما قيل في قضية الراهبة هندية عجيمي ، فالغموض لا يزال يكتنفها ، وهي بحاجة الى مزيد من البحث العلمي الموضوعي والصفاء الذهني المتجرّد. مشعوذة هي ومضللة؟ ام ضحية ضالة تملّكها الغرور واضرّ بها تأثيرها على الناس وتجاوبهم معها؟ مهما يكن من امر ، حفز انتصار البطريرك لها مناوئيه على الانقضاض على سمعتها ، ليس فقط لتحطيمها شخصياً ، بل للنيل من البطريرك نفسه عبر اذلالها والحكم عليها . فكان لهم ما ارادوا اذ اتاحت لهم الاحكام الرومانية الفرصة لانهاء القضية على حساب البطريرك وسمعته . بيد ان تنحيته عن القيام بمهامه البطريركية ، تلبية لرغباتهم ، لم تحلّ المشكلة؛ فاستمرّ الانقسام وتفاقمت البلبلة حتى كادت تقضي على ثقة الناس بالكنيسة ومقوماتها . لكن تمسّك البطريرك بالحق لم يهن على الرغم من كل ما تعرّض له من مقتضيات وتحامل واتهام . وانجلت الامور اخيراً للسلطات الرومانية فبدلت موقفها وعاد الحق الى نصابه والبطريرك الى سدّته ومهامه فاستقبلته كنيسته والبلاد بالحفاوة والتكريم .

تلك هي بعض ملامح قضية البطريرك يوسف اسطفان ، وما اغناها بالعبر! ان معهد التاريخ ، بدعوته الى احياء ذكرى رجوعه الى مزاولة مهامه ، وبنشره المحاضرات

التي ألقيت في الندوتين التي عقدتا بالمناسبة، يهدف، ضمن المسيرة التي شقها في جامعة الروح القدس، الى الاسهام بكشف النقاب عن حقيقة المآسي والمآثر التي عاشتها الكنيسة المارونية خلال تاريخها الطويل.

نستهلّ هذا الكتاب بالكلمة التي تكرّم صاحب الغبطة مار نصرالله بطرس صفير، بطريرك انطاكية وسائر المشرق الكلي الطوبى، وأرسلها الينا لتتصدّر سلسلة الكتب التي تعالج مسائل تتعلق بالكنيسة المارونية وتاريخها، ثم بنص المؤتمر الصحفي الذي عقده في الجامعة الابوان بولس صفير مدير معهد التاريخ في جامعة الروح القدس في حينه، واغناطيوس سعاده مدير مجلة المنارة، والاستاذ سمعان اسطفان ممثل آل اسطفان، في الثامن عشر من كانون الاول ١٩٨٥، وأعلنوا فيه عن البرنامج المعدّ للاحتفال "بالذكرى المئوية الثانية لاستعادة البطريرك يوسف اسطفان صلاحياته البطريركية. يلي ذلك افتتاحية للاستاذ سمعان بولس اسطفان. نورد بعدها الكلمات التي ألقيت في الندوة الاولى التي عقدت في العشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٨٥ بادارة الدكتور الياس القطار ومشاركة الاب الدكتور ناصر الجميّل في حديث عن "نشأة البطريرك يوسف اسطفان، دروسه في روما،

كهنوته واسقفيته"، والاب الدكتور بولس صفير في حديث عن "اسباب تنحية البطريرك يوسف اسطفان عن مزاولة صلاحياته البطريركية"، وفي الندوة الثانية التي عقدت في الثامن والعشرين من شهر كانون الاول ١٩٨٥ بادارة الدكتور جوزيف ابو نهرا والتي تكلم فيها الاب الدكتور اغناطيوس سعاده عن "سنوات التنحية الخمس وما رافقها من احداث"، والاستاذ ابراهيم اسطفان عن "الوجه القانوني لتنحية البطريرك يوسف اسطفان".

١٢

أ – المؤتمر الصحفي

بمناسبة احياء الذكرى المئوية الثانية لاستعادة البطريرك يوسف اسطفان الغوسطاوي صلاحياته البطريركية (١٧٨٥ – ١٩٨٥)، عقد الابوان بولس صفير واغناطيوس سعاده والاستاذ سمعان اسطفان مؤتمراً صحفياً في جامعة الروح القدس، الكسليك، بتاريخ الثامن عشر من شهر كانون الاول سنة الف وتسعمائة وخمس وثمانين، اعداداً للندوات الثقافية والتاريخية التي ستقام احياء للذكرى. تكلم الاب بولس صفير عن دوافع احياء الذكرى، بينما سلط الاب اغناطيوس سعاده الاضواء على شخصية البطريرك، اما الاستاذ سمعان اسطفان، فقد توقف عند برنامج الندوات، شاكرا في النهاية جميع الذين ساهموا وشاركوا في احياء هذه الذكرى. وفي ما يلي نصّ الكلمات التي ألقيت في المؤتمر الصحفي:

١- دوافع احياء الذكرى

الاب بولس صفير
مدير معهد التاريخ

في الحادي عشر من شهر شباط ، سنة ١٧٨٥ ، عاد البطريرك يوسف اسطفان الغوسطاوي (١٧٦٦-١٧٩٣) من جبل الكرمل في فلسطين الى لبنان ، مستأنفاً مزاولة صلاحياته البطريركية ، بعد ان قُطع عنها خمس سنوات (١٧٨٠-١٧٨٥). ولدى ولوجه عتبة كنيسة دير مار يوسف الحصن- غوسطا ، حيث كان يقيم ، استوقف جمهور الاساقفة والمشايخ والاعيان الذين كانوا يحيطون به ، وانشد مرتجلاً نشيداً بالسريانية ، مطلعه : "افتح يا لبنان ابوابك التي أُغلقت في وجهي".

وفي الحادي عشر من شهر شباط ، سنة ١٩٨٥ ، وبعد مرور مئتي سنة على استعادة البطريرك اسطفان صلاحياته البطريركية ، تنادى فريق من البحاثة والمؤرخين ، وبدعوة من معهد التاريخ في جامعة الروح القدس ومن آل اسطفان ، الى احياء هذه الذكرى ، فعقدوا الاجتماعات ، وقرروا برنامجاً ثقافياً ودينياً لها .

وكان الاتفاق على الاحتفال بها في الحادي والثلاثين من شهر ايار والاول والثاني من شهر حزيران، سنة ١٩٨٥، ولكن احداث شرقي صيدا واقليم الخروب الدامية ومذابحهما البربرية التي قضت على عشرات المواطنين المسيحيين الآمنين الابرياء في اواخر شهر نيسان، سنة ١٩٨٥، حالت دون احياء هذه الذكرى آنذاك، فتأجلت الاحتفالات الى اواخر شهر تشرين الاول، سنة ١٩٨٥. وعندما تسابقت الاحداث وقرّر الكرسي الرسولي اعلان الاخت المكرمة رفقا طوباوية في السابع عشر من شهر تشرين الثاني، سنة ١٩٨٥، فخطف هذا الحدث الهام جميع اضواء الاحداث الباقية، تأجل الاحتفال بذكرى البطريرك يوسف اسطفان مرة أخرى الى العشرين والثاني والعشرين من شهر كانون الاول، سنة ١٩٨٥. واليوم، ها نحن نشرح للرأي العام في هذا المؤتمر الصحفي الدوافع التي حملت اعضاء اللجنة على احياء هذه الذكرى:

١- انه من جميل الصُدف ان يتمّ الاحتفال بذكرى البطريرك يوسف اسطفان في الايام السابقة لعيد الميلاد المجيد الذي تستعدّ له الكنيسة المارونية بتساعية صلوات واناشيد، هي بمعظمها من نظم وتأليف البطريرك يوسف اسطفان ذاته، ومنها الصلوات التسع، ونشيداً "سبحان الكلمة"، و "ارسل الله ابنه الوحيد نورا للامم".

٢- تعــرّضت ولاية البـطريرك يوسف اسـطفـان الـى اخطر مأساة عرفها تاريخ بطاركة الكنيسة المارونية، ألا وهي تنحيته خمس سنوات عن مزاولة صلاحياته البطريركية. ان لـهذه التنحـيـة اسبـاباً عديدة خاصة، تداخلت فيهـا المآرب السيـاسية الى جـانب الاهداف الدينيـة، والأطماع البشرية الى جـانب السعي المتـواصل لاحبـاطها. وهذا ما سوف يتوقّف عنده المؤرخون والبحّاثة في الندوات التاريخية التي يتـضّمنها برنامج الـذكرى، لإمـاطة اللثام عن خلفيّاتها وجلاء وجه الحـقيقة. فموضوع البـحث عن اسباب تنحية البطريرك يوسف اسطفـان واسـع، والرغبـة في تقـصّي المعرفـة ملحّة، واللهـفـة الى اكتشاف حقيقة الاسباب التي أدّت الى انفجار الأزمة مشوّقة. وهذا مـا حمل اعضـاء اللجنة على **اعتبار استعادة صلاحيات البطريرك يوسف اسطفان بعد اقصائه عنها خمس سنوات، موضوعاً تاريخياً هاماً بحدّ ذاته**، يجب ان تُخصّص له ندوات ثقـافية وتاريخيـة في الذكرى المئوية الثـانية لاستعادتها، بدلاً من ان يمرّ عليـها المؤرخون مرور الكرام في ذكرياتٍ اخرى كذكرى انتخابه بطريركاً او ذكرى وفاته.

٣- ان بَسط الحقـائق التاريخية، بعـد مضي مئتي سنة على حدوثـها، بالواقـعية التـي تستـحقّ، هو مغـامرة من أدقّ المغـامرات، كمـا ان لفظ الاحكام على مفتـعليها من خـلال الوثائق والمستندات هو

تحدٍّ للذات قبل ان يكون تحدّياً لاصحابها. فالتاريخ لا يرحم احدا، وان الوقوع بين يدي من يستقرئ احداث التاريخ ويستفسر عن الحقيقة التاريخية لمخيف. وهذا في رأينا يستلزم درساً وتمحيصاً ونقداً وتقميشاً. وهل يُعقل ان يتوصل البحّاثة والمؤرخون الى هذه الاهداف دون تكريس ندوات خاصة لها ودون ان يقوموا بدراسات جدّية ورصينة؟

٤- من المعلوم انه كُتب الكثير عن قضيّة تنحية البطريرك يوسف اسطفان، وعن مداخلات الكرسي الرسولي في قضيّة الراهبة هنديّة والغاء رهبانيتها، وعن تطبيق رسوم وقوانين المجمع اللبناني المنعقد في ديرسيدة اللويزة - كسروان سنة ١٧٣٦. وقد حان الاوان لان يطّلع الرأي العام على ملابسات هذه القضايا وتفاعلاتها من خلال ندوات ثقافية وتاريخية، وان يكوّن له حكماً صائباً على اسبابها ومسبّباتها.

هذه هي اهمّ الدوافع والمسوغات التي حملت اعضاء اللجنة التحضيريّة على إحياء الذكرى المئوية الثانية لاستعادة البطريرك يوسف اسطفان صلاحياته البطريركية.

٢- رجل في مستوى الاحداث

الاب اغناطيوس سعاده
مدير مجلّة المنارة

لم يشهد تاريخ البطاركة الموارنة فترة مضطربة تشابكت فيها الاحداث وتداخلت الازمات كالفترة التي تولّى فيها البطريرك يوسف اسطفان ادارة الكنيسة المارونية على الصعيدين الروحي والزمني. ففي النصف الاخير من القرن الثامن عشر الذي امتدت فيه ولاية البطريرك يوسف اسطفان، كان الجبل اللبناني والكنيسة المارونية مسرحاً للمنازعات الاقطاعية والمؤامرات الاجنبية. فاعترى ادارة المؤسسات الدينية خلل من الداخل، وتسرّب الى رونق سلوكها شحوب، ففقدت السلطة المؤتمنة على خير البلاد وراحة العباد هيبتها المعهودة في العديد من المناسبات. وعلى الصعيد الزمني كان هناك صراع على السلطة بين الحكّام الشهابيين افراد العائلة الواحدة؛ فكان غالباً الشقيق، يشهر السلاح بوجه الشقيق والنسيب يغدر بالنسيب.

في اطار هذه الاجواء ارتقى البطريرك يوسف اسطفان الى السدّة البطريركية في ٩ حزيران سنة ١٧٦٦. واذا كان لهذه الاجواء

من دلائل تدلّ عليها، فهي تبدو لنا ملبّدة بالغيوم، مكفهرّة الآفاق ومعقّدة الاوضاع. ولمّا انفجرت هذه الاجواء وهبّت كعاصفة هوجاء على الكنيسة المارونية، شاءت العناية الالهية ان يكون متسلّماً زمام الامور فيها وعلى رأسها ربّان حكيم، هو البطريرك يوسف اسطفان. كان هذا البطريرك عالما علاّمة ورجلاً تقيّاً فاضلاً، ومدافعاً عن الحق عنيداً، وحبْراً شديد المراس وشجاعاً، واداريّاً صلب الارادة وحاذقاً، تمّ فيه الكلام المأثور: "رجل في مستوى الاحداث".

٣- برنامج الذكرى

الاستاذ سمعان اسطفان

يقتصر برنامج احياء ذكرى البطريرك يوسف اسطفان على ندوتين تاريخيتين ثقافيتين. فالندوة الاولى التي تعقد عند الساعة الرابعة من بعد ظهر الجمعة الواقع فيه العشرون من شهر كانون الاول سنة ١٩٨٥، يديرها الدكتور الياس القطار، ويتحدث فيها اولاً الاب الدكتور ناصر الجميل عن "نشأة البطريرك يوسف اسطفان، دروسه في روما، كهنوته واسقفيته"، يليه الاب الدكتور بولس صفير الذي يتكلم عن "اسباب تنحية البطريرك يوسف اسطفان عن مزاولة صلاحياته البطريركية". والندوة الثانية التي تعقد عند الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاحد الواقع فيه الثاني والعشرون من الشهر عينه، يديرها الدكتور جوزيف ابو نهرا، ويتكلم فيها اولاً الاب الدكتور اغناطيوس سعاده عن "سنوات التنحية الخمس وما رافقها من احداثِ"، يليه المحامي الاستاذ ابراهيم اسطفان الذي يتكلم عن "الوجه القانوني لتنحية البطريرك يوسف اسطفان".

سيسلّط هذا البرنامج الاضواء على قضيّة البطريرك يوسف

اسطفان من جميع نواحيها ، وسيجلو وجهَ الحقيقة بعد مئتي سنة من تعتيم على ادقّ الاحداث واخطر الازمات التي هزّت الكنيسة المارونية في الصميم . واننا نأمل ان يأتي حكم التاريخ صائباً هذه المرّة ، فيلقّننا درساً بليغاً في الحفاظ على تقاليدنا العريقة ، وتراثنا الجليل ، وحقوقنا المستحقة ، فنتمسك بها ، ونحافظ عليها ، ونوحّد الكلمة ، رافعين الصوت عالياً في المطالبة بها .

واخيراً بصفتي ممثلاً لعائلتي وللجنة المنبثقة عنها ، اشكر باسمي وباسمها جميع الذين ساهموا واشتركوا في احياء هذه الذكرى المجيدة ، وبنوع خاص جامعة الروح القدس ، الكسليك التي ستستضيف المحاضرين والمستمعين في قاعة محاضراتها خلال هاتين الندوتين ، كما انني اشكر بهذه المناسبة رجال الصحافة وجميع العاملين في حقل وسائل الاعلام .

ب – الافتتاحية

الاستاذ سمعان اسطفان

ربّ متسائل لِمَ الذكرى؟

عرّف الشاعر الذكرى، فقال: "الذكريات صدى السنين الحاكي". لكننا نحن ما اردناها صدى لسنين عبرت، وانما نريدها عبرة وكشفاً عن ادقّ احداثٍ واخطر ازماتٍ مرت بها الكنيسة المارونية، فأصابتها في الصميم. واننا نأمل ان يأتي حكم التاريخ صائباً هذه المرة في هاتين الندوتين، فيكشف حقيقة ما تعرّضت له ولاية البطريرك يوسف اسطفان، وقد كانت اخطر مأساة عرفها تاريخ بطاركة الكنيسة المارونية، يوم نُحّي البطريرك يوسف عن مزاولة صلاحياته البطريركية ما يقارب الخمس سنوات، علماً انه واجهها بحكمة ودراية وشجاعة ورباطة جأش. ولن نجول في هذه الميادين، إذ سنترك للمحاضرين في الندوتين، إتمام هذه المهمة، وقد تبرّع لها بعض كهنتنا ورهباننا وعلمائنا الذين استقرأوا غوامض التاريخ، واستنطقوا المستندات والوثائق المحجوبة عن الافهام والابصار، واعتمدوا الادلة والشواهد، آملين ان يتحقق العدل على

يدهم ، فيُنصَف هذا البطريرك الذي وقف حياته في سبيل خير وطنه وكنيسته ، وكرسي بطريركيته ، وذهب ضحية هذه الغيرة والاصلاحات التي فرضها وحققها .

فباسم هذا البطريرك ، وباسم عائلتي آل أسطفان ، وباسمكم جميعاً ، أوجّه خالص الشكر والتقدير الى الاباتي بولس نعمان ، الرئيس العام للرهبانية اللبنانية المارونية التي عززت وجه لبنان والكنيسة المارونية ، قداسة وديناً وعلماً ووطنية وتضحيات في المادة والارواح؛ والى حضرة الاب يوحنا تابت ، رئيس جامعة الروح القدس ، الذي ساعدنا وشجعنا على تحقيق هذه الذكرى؛ والى المحاضرين ، ولاسيما حضرة الخوري الدكتور ناصر الجميل الذي بدأ باحياء الماضي المجيد لكنيستنا ولرجالاتها العظام؛ والى حضرة الاب الدكتور بولس صفير ، مدير معهد التاريخ في هذه الجامعة العامرة ، على ما بذله من وقت ومساهمة فعّالة في تحقيق هاتين الندوتين؛ وكذلك الى الاب الدكتور اغناطيوس سعاده ، مدير مجلة المنارة الذي اليه يعود الفضل في تنبيهنا الى مثل هذه الذكرى؛ والى كل من الدكتورين ، الياس القطار وجوزيف ابو نهرا ، أستاذَي التاريخ في الجامعة اللبنانية وفي جامعة الروح القدس؛ والى المحامي ابراهيم اسطفان ، الذي قال بأن هذا واجب عليه ولا يبتغي شكراً؛ والى جميع من ساهم معنا من رجال اعلام وصحافة .

أما مسك ختامي، فهو شكركم انتم، ايها الحضور الكرام، من اصحاب سيادة، ومعالي، وسعادة، وحضرة قائد جيشنا الباسل، وراهبات، ورهبان، والى السيدات والسادة، اذ ان حضوركم برهان على ان محبّي الحق والحقيقة لا يزالون يعكسون وجه لبنان الحقيقي، لبنان الحق والمعرفة، لبنان العبقرية والنبوغ، واللسان يردد:

صوتان لن يقوى الفناءُ عليهما:
صوتُ الضمير وصوت حقّ مثلَم
والحق صوتُ اللـــهِ بين عبـــاده،
من يُخفِ صوتَ الله حتماً يُظلِم
واليومَ بطرِكُنا يجلجل حقَّــه
وتُشعُّ أضواءٌ بقبرٍ مظلم

تمثال نصفى للبطريرك يوسف اسطفان

فى كنيسة دير مار يوسف الحصن(غوسطا)

الندوة الاولى

(الجمعة، ١٩٨٥/١٢/٢٠)

١ - كلمة مدير الندوة الدكتور الياس القطار

"ارسل الله ابنه الوحيد نوراً للانام".

هكذا ترنّم البطريرك يوسف اسطفان بميلاد المخلّص. وكان هو بالذات شعاعاً من فيض انوار السيد المسيح الذي اشرق نجمُه على مجد بطريركية انطاكية وسائر المشرق، بوجود رعاة كبار من امثال يوسف اسطفان، واسطفان الدويهي، وارميا العمشيتي، والياس الحويك، وغيرهم من البطاركة العظماء، وهم بالعشرات.

في عائلة تتوارث الكهنوت، ولد هذا الراعي الصالح؛ ولنباهته وحصافته، أُرسل الى مدرسة روما الشهيرة وهو في سن العاشرة؛ فعاد منها مختمراً بالعلم ومتسلحاً بالفضائل. سيم كاهناً وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، وارتقى الى الدرجة الاسقفية وهو في الخامسة والعشرين، واعتلى عرش بطريركية الموارنة في لبنان وسائر المشرق وله من العمر سبع وثلاثون سنة.

هذا الترقي السريع والمبكّر، شكّل ظاهرة فريدة في نوعها في تاريخ الكنيسة. وكان وراء هذا الترقي وهذه الظاهرة عوامل ثلاث:

١"- الذكاء المبكّر،
٢"- الفضائل السامية،
٣"- العمل الرعوي المثمر.

ولكن بعض ارباب الطائفة المارونية، القابعين في خيلاء التقليد والمكاسب الشخصية الفردية، لم يتمكنوا من الانحناء امام هذه الظاهرة الفذّة، ولم يفسحوا لها المجال لتتفجّر في عملية التحديث وفي السعي الى ضبط شؤون البيت على قواعد ثابتة وتصاميم واضحة وعمليّة، فدفعهم حسدُهم القاتل الى مناصبة العداء لهذا الكوكب النيّر، وتمكنوا بوشاياتهم من تنحيته عن كرسيه طيلة خمس سنوات.

بقدر ما كان الاعداء يعملون على التشهير به، كان هذا البطريرك المؤمن بمسيحيته يواجه الصعاب، وينحني امام التجربة، وبالتالي امام مشيئة الله، وكانت تجربته مِحكاً لايمانه، قاسى فيها الامرّين من الرؤساء، والحكّام، ومن العوام، ومن الاكابر والاصاغر. وقد احسن البطريرك اسطفان الوقوف في وجه الزوبعة، فقارع الحجة بالحجة مدافعاً عن نفسه، الى ان قال الحق كلمته وعلا

سيف العدل الرسولي ، فعاد الى مزاولة صلاحياته البطريركية في ١١ شباط ١٧٨٥ .

ولم يقابل ، هذا الراعي الصالح ، افراد ملّته بالنفور أو بالكراهية أو الانتقام ، برغم المذلة والمشقة اللتين الحقهما به بعضهم . فما ان عاد الى السدّة البطريركية ، حتى نشط في عقد المجامع ، والاتصال بزعماء اوروبا ، وتطبيق التنظيمات البيعية والقانونية .

وللقضاء على جذور الجهل الذي كان هو ابرز ضحاياه ، عمد الى تحويل عين ورقة الى مدرسة عامة للطائفة المارونية ، فكانت نواة التعليم الجامعي في لبنان كما في الشرق .

كان يوسف اسطفان فيلسوفاً لا يستهان به ، ولاهوتياً سامياً ، ومؤرخاً مدققاً ، وفقيهاً قانونياً بارعاً ، وخطيباً مصقعاً ، وشاعراً لطيفاً ، وكاتباً مجيداً . وبكلمة بسيطة ، كان كناراً آخر للروح القدس . وليس ادلّ على ذلك من تلك الرتب الكنسية ، والصلوات ، والتراتيل ، والطلبات ، التي اتخذت في كنيستنا المارونية ، منحى شعبياً مثقلاً بالمعاني الايمانية ، يعبّر عنها مؤلفها ببساطة وعفوية ، حتى تخال وكأن شعباً بكامله صاغها في اجيال متلاحقة .

تمّتع هذا البطريرك بشخصية غنيـة ومتنوعة ، فجمع العلم الى بساطة القلب ، والثقافة الى التراث ، والتـقوى الى الرغبة في الانفتاح والتـحديث . ولـقد دفع في حيـاته ثمن صفـاته في عـالم تسطو عليـه المنازعـات العـائلية ، والقـروية ، والاقليـمـية الضيـقة الافـاق . وأثار بالتحـديث والانضبـاط حفيظة التـقليد ، والروح الفـردية ، والنزعات الشخصية الآنية .

وبكلمـة مـوجزة ، يختـصـر البطريرك اسطفـان في شـخصـه مشاكل مزمنة في أمّته .

ونحن ، اذ نجتمع للاحـتفـال بذكرى مـرور مئتي سنة على استـعادة البطريرك يوسف اسطفان لصـلاحياته البطريركـية ، يسرّنا ان نجتمع وايا كم لبسط الملابسات التي حـدثت آنذاك ، وشقت الطائـفة المارونية ، وضربت افرادها ببعضهم البعض . ويسرّنا كمـا سيسرّكم الاسـتماع الى مؤرخين عملوا على جلاء الحقائق ، بعدمـا اشبـعوها تقميشاً ودرساً وتمحيـصاً ، عنيت بذلك الابوين الاستاذين ، الدكتور ناصر الجميّل والدكتور بولس صفير .

فـالخوري الدكـتـور ناصر الجـميل ، الـكاهن والمربي واستـاذ التـاريخ في جـامـعـة الروح القـدس ، من المؤرخين النشـيطين الذين

امضوا السنوات الطوال في اوروبا كما في لبنان بحثاً عن التراث اللبناني عامة والماروني خاصة. ومن ابرز ابحاثه كتابه الموسوعي عن طلاب مدرسة روما المارونية الصادر بالفرنسية، اضافة الى المقالات المنشورة في "الكتاب ولبنان" وفي العديد من المجلات العلمية. ولئن حمل الاب الجميل مشعال مدرسة روما المارونية، فليكون خير خلف لخير سلف.

الاب الدكتور بولس صفير، الراهب اللبناني، مدير معهد التاريخ في جامعة الروح القدس، وحافظ المكتبة البطريركية المارونية، هو ايضاً من كبار المؤرخين اللبنانيين الضالعين بجد وبدقة في اصول ومصادر ووثائق التاريخ الماروني. تحرّى سابقاً عن سير النساك الموارنة، فاصبح ناسكاً من لون آخر في محراب الابحاث التاريخية، بحيث اثمر كتباً ومقالات تمتاز برصانتها وسعة تقميشها ودقة معلوماتها. فلنستمع معاً الى الابوين العالمين يحدثاننا عن البطريرك يوسف اسطفان.

٢- نشـأة البطـريرك اسطفـان، دروسـه في رومـا، كهنوته واسقفيته

الخوري ناصر الجميل

المصادر والمراجع

١- مخطوطات

أ) مكتبة البطريركية المارونية - بكركي:

١) المطران يوسف اسطفان، "رسالة في تربية الاولاد الصالحة"، من القطع الصغير، بالكرشوني.

٢) مجموعة وثائق مستلة من جارور البطريرك يوسف اسطفان، تدور حول تنصيبه بطريركاً، وحول مصاريف الكرسي البطريركي، وموقف آل الخازن منه، تاريخه سنة ١٧٧٩.

٣) شكوى الاساقفة ضد البطريرك يوسف اسطفان سنة ١٧٦٩ وسنة ١٧٧٣.

٤) عدة رسائل وردت الى البطريرك يوسف اسطفان في دير الكرمل سنة ١٧٨١.

ب) مكتبة الآباء المرسلين – الكريم:

٥) "احتجاج المطران يوسف اسطفان على رسائل حضرة المطران ميخائيل فاضل المحترم". لم يُشر اليه جوزف نصرالله في **فهرس مخطوطات لبنان**. عثر عليه الاب اغناطيوس سعاده بين اوراق ابراهيم حرفوش. نشره بولس عبود الغوسطاوي في **بصائر الزمان في تاريخ العلامة البطريرك يوسف اسطفان**، بيروت، ١٩١١، ص ١–٤٩. عدد اوراق المخطوط ١–٣٣ وجه، عربي.

٦) "نبذة في حياة البطريرك يوسف اسطفان الخامس الغوسطاوي". انها مخطوطة مجهولة المؤلف والتاريخ، قدّمها الاب فيليب السمراني الى مكتبة المرسلين اللبنانيين، سنة ١٩٨٤. عدد أوراقها ٤.

ج) المكتبة العامة في مدينة إڤورا Evora–البرتغال:

٧) رسالة من البطريرك يوسف اسطفان بالعربية، نقلها الى البرتغالية القسّيس يوحنا الدمشقي المستشرق المعروف بـ Frei Joao de Souza، تاريخها في ٩ آب ١٧٧٨، تشير الى نشاط البطريرك الثقافي مع مطران Beja البرتغالي:

Portugal, Bibliothèque Publique d' Evora, CXXVIII / 1-4, nº 9-11.

٢- المطبوعات

٨) خيرالله اسطفان ، **زبدة البيان او خلاصة تاريخ أم مدارس سورية ولبنان**، "عين ورقا"، نيويورك، ١٩٢٣ ، ٦٤ ص.

٩) بولس عبود الغوسطاوي ، **بصائر الزمان في تاريخ العلامة البطريرك يوسف اسطفان** ، بيروت، ١٩١١ ، ٢٤٠+١٥١ ص.

١٠) يوسف خطّار غانم ، **برنامج اخوية القديس مارون** ، الجزء الثاني ، بيروت، ١٩٠٣ ، ص ٣٣٩-٣٤٤.

١١) الاباتي بطرس فهد ، **بطاركة الموارنة واساقفتهم - القرن الثامن عشر** ، دار لحد خاطر ، بيروت، ١٩٨٥ ، ص ٢٧٣ - ٤١١.

١٢) Nasser GEMAYEL, *Les échanges culturels entre les Maronites et l'Europe*, Beyrouth, 1984, p. 11.

١٣) Georges GRAF, *Geschichte der Christlichen arabischen Literatur*, III, Città del Vaticano, MCMIL, p. 459 - 462.

١٤) Joseph ZIADE, *La hiérarchie maronite, sa résidence*, 1955, 162 p.

مقدمة

لا مجال لنا، الليلة، للاستفاضة في الحديث عن مآثر بلدة غوسطا التي اعطت وما تزال تعطي الكنيسة والوطن رجالات عظاماً، فاحتلت وما تزال تحتل مرتبة مرموقة بين البلدات الكسروانية. هي **Augusta** العريقة، التي اشتهر اسمها في التاريخ الى جانب اسماء قناصل فرنسا في لبنان، ابتداء من أبي نوفل الخازن، مرورا بالبطاركة من آل الخازن، واسطفان، والحلو، ومحاسب. ونعفّ عن ذكر رتل الاساقفة، والكهنة، والرهبان، وبقية الفعاليات. وكان للمدرسة المارونية الرومانية نصيب وافر من ابنائها، تمكّنتُ من احصاء تسعة اسماء تقريبا، بعضهم معروف، والبعض الآخر بحاجة الى تعريف - وهم على سبيل المثال لا الحصر:

أ) في القرن السابع عشر: يوسف فليفل، بطرس ضومط مخلوف الذي اصبح اسقفا على قبرس، يوسف ابن داود، انطونيوس ابن سعادة؛

ب) في القرن الثامن عشر: بولس قشّوع، بطرس كامل نجيم، ارميا نجيم الذي اصبح اسقفاً هو ايضاً، منصور الشنيعي، والبطريرك يوسف اسطفان.

ويكفي غوسطا فخراً انها انجبت يوسف اسطفان الذي ، كما ستروْن وتسمعون ، حمل همّ الطائفة في قلبه ، فضحّى بالغالي والرخيص في سبيل ازدهارها ورفعتها وكرامتها . فمن هو؟

التلميذ – الكاهن – الاسقف

I – نشأته وتربيته الرومانية:

ابصر يوسف اسطفان النور ، في غوسطا ، سنة ١٧٢٩ ، قبل انعقاد "المجمع اللبناني" بسبع سنوات . ينتمي الى عائلة كريمة تتألف من كهنة واساقفة . ابوه هو الخوري جرجس ، واخوته أربعة هم: القس موسى ، والمطران بولس ، وكاهنان متزوجان ، وعمّه هو المطران يوحنا ، رئيس دير مار انطونيوس عين ورقة والمطران على ابرشية بيروت .

ما ان بلغ العاشرة من عمره – وهو النحيف الجسم (١) – اي

---

١) للمزيد من المعلومات انظر ترجمة حياة البطريرك يوسف اسطفان ، كتبها ابن شقيقه المطران يوسف اسطفان ، في بولس عبود الغسطاوي ، **بصائر الزمان**. . . ، ص ١١٢ – ١١٥ .

ثلاث سنوات بعد "المجمع"، حتى ارسله ذووه الى المدرسة المارونية في روما، حيث قضى عشر سنين. ومرة ثانية، لنا عودة الى هذه المدرسة المارونية الرومانية، والى نظامها، وأثرها في تربية النشء الماروني. من المعلوم انه كان يشرف على تدبيرها آباء الرهبنة اليسوعية؛ وتعاقب على رئاستها، خلال فترة دراسة يوسف اسطفان، الابوان Julius Vitelli و Petrus Cinusghius. ومن حسن طالعه، وحسن طالع رفاقه، ان مديري الدروس في تلك الحقبة كانا، على كونهما يسوعيين، من اصل ماروني ومن خريجي المدرسة المذكورة، عنيت على التوالي: جرجس عبيد بنيمين الاهدني ومطران اهدن سابقاً، الذي ضحّى بالاسقفية لاسباب عديدة والتحق بالرهبنة اليسوعية، والثاني هو سمعان خضير المعروف في الغرب بـ Simone Verdi وهو من كفر حورا.

رفاقه هم: جرمانوس صادر الحلبي، برتلماوس اسكندر القبرسي، بولس شلهوب وارميا نجيم. كلهم نبغوا وشغلوا مناصب مهمة في الكنيسة المارونية فيما بعد.

نظام الدروس: يشبه نظام الدروس في المدرسة المارونية سائر انظمة المدارس الرومانية المعمول بها في ذلك الزمان، والتي كانت –

كما قلنا – تحت اشراف الآباء اليسوعيين وادارتهم . فالفلسفة السكولستيكية ولاهوت مار توما الاكويني كانا في اساس التنشئة الاكليريكية ، الى جانب التوجيه الادبي واللغوي الشاملين .

قوانين المدرسة: تبدلت قوانين المدرسة وتطورت وفق متطلبات العصر على مدى قرنين ونيف ، منذ ان قام بوضعها لاول مرة ، سنة ١٥٨٥ ، الكردينال كارافا Carafa ، محامي الطائفة المارونية وكفيلها لدى البابوية . اما قوانين الكردينال Zondadari التي دخلت حيّز التطبيق في اوائل القرن الثامن عشر ، فهي المعوّل عليها . وقد ادخل عليها بعض التعديلات والتحسينات ابان تواجد المطران جرجس بنيمين الاهدني ، وبطرس مبارك البطحاوي ، واندراوس اسكندر القبرسي ، ويوسف شمعون السمعاني الحصروني في روما ، فأدت هذه التعديلات الى تغيير ملموس في برنامج التدريس وفي التوجيه العام .

الجديد والمفيد في تلك التغيرات انها تركّز على:

– اولا: بعث الروح المشرقية وعلى التضلع من السريانية والعربية ،
– ثانيا: تقوية طرائق الجدل بمنطق ثابت وسليم ،
– ثالثا: تدريب التلامذة – الاكليريكيين على الوعظ وعلى فن الخطابة ،

– رابعا: التشديد على الرتب الطقسية المارونية ،
– خامسا: التركيز على العقيدة المسيحية .

يهدف هذا التدبير الى ضبط التربية المارونية وفق توجيهات جديدة تتناسب وواقع القرن الثامن عشر ومتطلباته في جبل لبنان حيث تتواجد الطائفة المارونية ، وفي قبرس وفي حلب حيث يتواجد القسم الآخر منها ، وتتماشى بالتالي مع توصيات "المجمع اللبناني" (١٧٣٦) ومقرراته .

تلك كانت الاجواء التي عاشها الاكليريكي يوسف اسطفان الغوسطاوي في المدرسة المارونية . تشير الوثائق الى انه أظهر انسجاماً تاماً مع القوانين ومع النظم الجديدة ، وانه كان محط انظار المربّين . وبعد عشر سنوات من الكدّ والتحصيل ، انهى دروسه المقررة ، حائزاً على التنويه باجتهاده وكفاءاته وغيرته الرسولية (١) . أكسبته هذه العلوم معرفة ونضجاً ، ظهر اثرهما في نشاطه الطقسي ، واللاهوتي ، والتربوي ، والقانوني ، والدفاعي (Apologie) .

---

١) هذا هو التعبير الذي اعتمد ليوسف اسطفان في ارشيف المدرسة في مجمع انتشار الايمان Propaganda Fide ، للدلالة على تفوقه: *"Habile aux Missions"*؛ *"Cum Laude"*.

II – يوسف اسطفان الكاهن والاسقف:

عاد يوسف اسطفان الى لبنان في الثاني من ايلول سنة ١٧٤٩ وهو بعمر يناهز العشرين سنة. وما ان انقضت اربعة اشهر على وصوله، حتى اقتبل درجات الكهنوت الصغرى في ٢٦ كانون الثاني ١٧٥٠، ثم درجة الشماسية في ٢٩ اذار سنة ١٧٥٢، واخيرا درجة الكهنوت في ٢٧ ايار من السنة نفسها، وهو بعمر ٢٣ سنة، على مذبح سيدة قنوبين، على يد البطريرك سمعان عوّاد الحصروني، تلميذ مدرسة رومية هو الآخر (١).

نادرة هي المعلومات عن يوسف اسطفان الكاهن. جل ما نستطيع استنتاجه عن هذه الفترة القصيرة، هو انها كانت كافية لتظهر غيرته الرسولية، وتلفت انظار عارفيه. وتضيف وثائق (٢) تلك الحقبة المتعلقة به انه، "لاجل علمه وعمله وتواضعه"، ولانه كاهن "حَسَنَ السيرة والاخلاق، ومعلم، وله الشهادة الحسنة من كل من عاشره"، رُقّيَ بعد فترة وجيزة الى درجة الاسقفية، وكان قد مضى على كهنوته سنتان (اي بعمر ٢٥ سنة).

---

١) سيم كاهنا على يد سمعان عواد، وليس على يد عمه المطران يوحنا، كما يقول غراف G. Graf. راجع: **بصائر الزمان**، ص٣، حاشية ٢.

٢) انظر **بصائر الزمان**، ص٣، عدد ١.

لكن تكريسه اسقفاً على ابرشية بيروت لم يتمّ الا بعد ان تخلّى عنها عمّه المطران يوحنا اسطفان - الطاعن في السن - طوعياً وقانونياً. وكان ذلك بحضرة البطريرك سمعان عواد والمطارنة وبعض شيوخ الطائفة واعلامها. ثم تسلم دير عين ورقة - وكان لا يزال بعد ديراً - والذي كان يومئذ كرسياً لابرشية بيروت. إن وجود هذا الدير في قلب كسروان يجعله في مأمن من جور الحكام. وقد جرت العادة ان يزور الاسقف ابرشيته اقلّه مرة في السنة؛ وها هو، اثر زيارة لهذه الابرشية، واطلاعه عن كثب على حاجاتها، وهو الراعي لرعيته، يوجّه رسالة في "تربية الاولاد الصالحة" سنة ١٧٥٨، وقد جاء فيها:

"ثم اني اناشدكم، يا ايها الآباء الجسديون، الذين قلّدكم الله مقامه على الارض، وولاّكم على الوديعة العظيمة الجزيلة الثمن . . . اولادكم، لتحرصوا عليهم بتربية حسنة وتأديب صالح منذ صغر سنهم".

ويتابع قائلا: "واتوسل اليكم، يا ايها الآباء الروحيون والجسدانيون معاً . . . ان تنتبهوا على هذا الالتزام، وتبذلوا الجهد الكلي في انكم تكملونه، لاني في زيارتي الرعية في الاعوام الماضية، اطلعت اطلاعاً شافياً على النقص المفرط الصادر في هذا الخصوص من الجميع، اي اني رأيت من الآباء الجسدانيين ما قاله يوحنا فم الذهب في الخطبة ٢٧ في تربية الاولاد: انهم يجرّدون العناية الكلية في ان يقتنوا لاولادهم خيولا مسومة، واثوابا فاخرة، وحقولاً مخصبة، وارزاقا وافرة؛ وبالجملة انهم يكونون موسرين في كافة

الامور الدنيوية، واما حتى يكون اولادهم ذوي اخلاق مرتبة وسيرة مهذّبة ونية صالحة مع الله والقريب، فلا يعنيهم هذا الامر اصلاً . . . فَوأسَفاه كم يستحقون من المذمة والتوبيخ مثل هؤلاء الآباء الذين بالصواب قد شبّههم بلوترخوس (Plutarque) الفيلسوف الوثني باولئك العديمي العقل الذين يهتمون بالاحذية ويهملون الرجلين، اي انهم يعتنون لاولادهم بما يخص الجسد، ويتغافلون عما يخص النفس . . . ″.

كما يوجّه ايضاً في ″الرسالة″ ذاتها ملامة الى الآباء الروحيين بقوله: ″ان الصغار طلبوا الخبز ولم يكن من يكسره لهم . . . ″.

مهما يكن من امر، يبدو واضحاً ان يوسف اسطفان حمل همّ تربية اولاد الطائفة في قلبه طيلة حياته. وقد نجح في تحقيق حلمه في اواخر بطركيته، لمّا حوّل دير مار انطونيوس – عين ورقة الى مدرسة اكليريكية لتربية النشء الماروني. ولقد كتب في صك التحويل سنة ١٧٨٩ ما يلي:

″الداعي الى تحريره هو انني، انا الحقير في الرؤساء، المدون اسمي بخطي وختمي اعلاه سريانيا وبذيله عربيا، قد خصصت وعينت واوقفت بشور اخي المطران بولس، وابن اخي الخوري ابراهيم اسطفان، ورضاهما، جميع ارزاق ديرنا المعروف بمار انطونيوس عين ورقة، الثابتة وغير الثابتة، وكل عماره، واثاثه، وحقوقه، واستحقاقاته، وكافة ما يعرف به وينسب

اليـه من توت، وكـروم، واراضي مـزروعة وغـير مـزروعـة، وسايقـة، ومواشي، الى خير الطائفة العام، اعني لكي يقام فيه مدرسة اولاً لتربية الاولاد . . . ″.

ويتابع: ″. . . وخصصنا الدير المذكور . . . الى قيام الخير المذكور الذي لم يوجد خير اعظم منه، وهو قيام مدرسة عامة لكل الطائفة، يرتشد بها الاولاد الصغيرو السن بالعلوم المذكورة. . . ″.

″. . . ومنذ الان فصاعدا فلا عاد يُطلق على الموضع المذكور اسم دير بل مدرسة لا غير. . . ″ (١).

III - خلافات وصعاب

لم تكن هموم يوسف اسطفان كلها من النوع التربوي، ولا كانت كلها تصب في خانة خير الطائفة التي ينتمي اليها، بل كانت مشاكله من نوع آخر، رافقته طوال فترة اسقفيته، فنغّصت عيشه وخلقت جوّاً من البلبلة والاشمئزاز في صفوف الاكليروس، وانعكست سلبا على فعاليات الطائفة.

١) راجع صك التأسيس، مخطوطات بكركي. منشور في كتابنا، الجزء الثاني، ص ١٠٣٦ - ١٠٤٠.

فما ان خلف عـمّه على كرسي ابرشية بيـروت ، حتى برز له اخصام كثر ، على رأسهم الخوري ميخائيل فاضل – البطريرك في ما بعـد ، والملقب بكوكب الشرق ، تـلميـذ مدرسـة رومـا هو ايضـاً ، ربيب يوسف اسطفـان . ويبدو انه لوقت من الاوقـات ، كان استـاذاً له ، اذ انه اكبـر سناً (١٢ سنة) ، ودخل قبله الى مـدرسة روما بعـشر سنوات .

السبب الظاهر لهذا الخلاف هو ان تسقيف يوسف اسطفان لم يرق لميخائيل فاضل؛ فهو البيـروتي الاصل ، لن يقبل بيوسف اسطفان الغوسطاوي اسقـفاً على ابرشية بيروت . والاعتراض الثـاني يشير الى ان الاسقـفيـة ليست وراثية ، حـتى ولو تخلّى عنها طوعياً وقـانونياً ، المطران يوحنا اسطفان ، عمّ يوسف اسطفان ، بسبب تقدمه في السن؛ فـالقربى غير مـحمـودة في القدسيات كـما في المدنيـات (pas de népotisme) . زِد على ذلـك ان يوسف اسطفـان لمّا يزَلْ تحت السن القـانونيـة التي تخـوّله ان يصيـر اسـقـفاً ، حـسب اعـتـراض ميـخـائيل فاضل .

الى جانب هذه الاعتراضات المبدئية والتي لا تمس بأهلية يوسف اسطفان البتة ، هـناك ملاحظات اخرى عديدة سجلها مـيخائيل فاضل على تصرّف يوسف اسطفان الاسقف ، وتنحصر بالنقاط التالية:

– يمانع يوسف اسطفان بان يتجوّل معه البطريرك في ابرشية بيروت؛
– يتهمه بانه اغتصب دير عين ورقة من عمّه؛
– يتهمه ايضاً بانه طرد من عين ورقة الراهبات ،
– وانه شارك محرومين في الصلاة .

ولم يطل الزمن حتى لاقى الداهية ميخائيل فاضل استحساناً لدى البطريرك طوبيا الخازن . وها هو يُرفع بدوره الى سدة الاسقفية . لكن الحال لم تستقم بعد هذا التسقيف ، بل زادت تعقيداً ، ذلك ان خلاف الاسقفين تواصل واستفحل سنة ١٧٦٢ . حفظ لنا "احتجاج المطران يوسف اسطفان على رسائل حضرة المطران ميخائيل فاضل"، مخطوط دير الكريم لجمعية المرسلين اللبنانيين ، وقد تكرّم به علينا صديقنا الاب اغناطيوس سعاده وكان قد عثر عليه بين اوراق الاب ابراهيم حرفوش (١) .

واسمحوا لي هنا ان اتوقف عند بعض نقاط الخلاف الشخصي هذا وابراز مرافعة يوسف اسطفان ودفاعه . فالسؤال المطروح هو كيف حاول ميخائيل فاضل ان ينتزع ابرشية بيروت من المطران يوسف اسطفان؟

١) نشر الاب بولس عبود هذا المخطوط في كتابه **بصائر الزمان** ، ذيل عد ١ .

في الحقيقة عمل ميخائيل فاضل على خطّين: عائلي وبطريركي؛ فلقد استطاع اولا ان يقنع المطران يوحنا المستقيل بالعودة عن قراره، وان يعاود سكناه في دير عين ورقة، ويستعيد ادارة شؤون الابرشية. نتيجة لذلك، اضطر يوسف اسطفان ان يخلي سكنه في عين ورقة ويبتني له دير يسوع الطفل في حصن غوسطا(١).

كما توصل ايضاً الى اقناع البطريرك طوبيا الخازن بان يعقد مجمعاً في بيروت سنة ١٧٦٢، وجعله يقترح مع الاساقفة تعطيل مقررات "المجمع اللبناني" التي تنص على قسمة الكنيسة المارونية الى ثماني ابرشيات، والاستعاضة عنها بخمس عشرة ابرشية. فيكون قد اضيف على الابرشيات المارونية سبع ابرشيات جديدة، لتصبح كالآتي:

حلب، عرقا، اهدن، جبيل، ريفون، زوق مصبح، بسكنتا، مطرانان على رعية الامير مراد، البقاع ومرجعيون وحاصبيا، بيروت، ابرشية المطران جبرائيل عواد، دير القمر، عجلتون، طرابلس والجبة(٢).

---

١) راجع ارشيف بكركي، جارور البطريرك اسطفان، لائحة بموجودات دير الحصن ابان عزل البطريرك المذكور.

٢) انظر "بصائر الزمان"، ذيل ص ٢٩.

وقّع جميع الاساقفة على صك التعطيل هذا، الاّ يوسف اسطفان الذي تمسّك بمقررات "المجمع اللبناني" القاضي بإقامة ثماني ابرشيات فقط. كان عليه اما ان يطيع مقررات مجمع الاساقفة ويأمن سوء العاقبة، واما ان يتمسّك بموقف روما - وفي القضية تعدٍّ على القانون العام. طاعة البطريرك والتجانس مع مجلس الاساقفة معناها هنا مخالفة مقررات المجمع اللبناني، ورفض الانصياع الى هذه الاوامر معناها رفع شكوى الى روما، ضامنة مقررات المجمع اللبناني.

وهكذا صار؛ فقد رفع يوسف اسطفان دعواه الى الكرسي الرسولي، إذ كان الوقت ملائماً لوضع كلٍّ من البطريرك طوبيا الخازن وصديقه ميخائيل فاضل على حدّهما. لقد كتب بهذا الخصوص: "... فما عاد لي الا ان اماثل اصحاب الخوف واغادر ذمتي والحق، حتى ارضي البطريرك، واصلح اموري بهذا النوع المذموم..." (١). قبل ان نورد رأي روما، لا بد من القول انه من الطبيعي ان يستاء البطريرك طوبيا الخازن من الموقف الرافض، ومن موقف التحدي الذي اخذه يوسف اسطفان "العاصي". فاتهمه حينئذ بابشع التهم: منها اولا انه عصى اوامره ومنعه من زيارة ابرشية بيروت

---

١) انظر **بصائر الزمان**، ذيل ص ٣٤.

وفق الصلاحية التي يخوّله اياها "المجمع اللبناني" نفسه، ويتهمه ايضا بانه استعان بالحاكم المدني لاجل منعه، وانه طرد بقوة السلاح راهبات دير عين ورقة اللواتي أُهِنّ وضُربن. لكل هذه الاسباب، حرم طوبيا الخازن يوسف اسطفان، وحطمه، وعزله، وكفّ يده عن ابرشية بيروت في ٤ حزيران ١٧٦٢ (١). لا حلّ اذا الا بتوقيع صك تعديل مقررات المجمع اللبناني.

إثر ذلك انقسم الاساقفة الى فريقين: قسم يؤيد البطريرك، وقسم يتهم ويتراجع عن توقيعه بحجة انه وقّع تحت الضغط. وتدخل المشايخ ايضاً وكتبوا للبابا يؤيدون يوسف اسطفان. ومن اجل تنقية الاجواء بين البطريرك طوبيا الخازن وميخائيل فاضل من جهة، وبين يوسف اسطفان من جهة ثانية، منهم مَن اقترح قسمة ابرشية بيروت الى اثنتين: القسم الاول، وفيه الغرب والشحار، ويتولاه يوسف اسطفان، والقسم الثاني، وفيه مدينة بيروت وتوابعها، ويدبرها ميخائيل فاضل.

عندها رفع البطريرك الحرم عن يوسف اسطفان في ٢١ كانون الثاني ١٧٦٣.

---

١) انظر جارور البطريرك الخازن في ارشيف بكركي – ذكرها
J. Ziadé, *La hiérarchie maronite*, p. 82.

لكن ماذا كان ردّ روما؟

الواضح ان السمعاني الكبير الذي يعود له الفضل الاكبر في انجاح المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ، كان لا يزال على قيد الحياة ، ورأيه لا يزال فاعلا لدى الكرسي الرسولي ، وهو يحرص كل الحرص ويسهر من بعيد على تنفيذ مقررات المجمع المذكور وبنوده .

كان اذن جواب روما واضحاً جداً ولمصلحة يوسف اسطفان ، بل بالاحرى مؤيداً لمقررات "المجمع اللبناني". وقد ورد ردّه على لسان النائب الرسولي بمدينة حلب ، ارنلدوس بصّو Arnaldus Besso كالآتي: "ان منع مجمع بيروت ليوسف اسطفان هو باطل وغير عادل ، وعليه ان يرجع الى درجته وتصريف شؤون الابرشية كما كان قبل المجمع المذكور . وبالتالي فان مقررات مجمع بيروت بخصوص قسمة الابرشيات هي غير قانونية وباطلة". اعلن هذا الرد في روما في ٢٤ ايلول ١٧٦٤ ، وورد على لسان المذكور Arnaldus في ٧ كانون الاول من السنة نفسها .

ماذا كانت النتيجة؟ يبدو ان يوسف اسطفان استعاد قسماً من ابرشيته ، والقسم الثاني ظل تحت تدبير ميخائيل فاضل . وبعد وفاة البطريرك طوبيا الخازن سنة ١٧٦٦ ، انتخب مجمع الاساقفة مكانه

يوسف اسطفان نفسه في ٩ حزيران سنة ١٧٦٦ .

وبعـد ، هل هـذا هو كل يوسف اسطفـان؟ هل بامكاننا بمحاضرة الاحاطة بشخصية فذة مثله؟ طبعا لا! لقد اغفلنا عمداً – لضيق الوقت – الصراعات الخفية السائدة بين الحاكم المدني والحاكم الديني في تلك الحقبة من التاريخ . لم نأتِ على ذكر اي من دور الامير يوسف وكَوَاخِيْه ، سعد الخوري وسمعان البيطار ، اللذَين تجلى دورهما بدعوة هذا المجمع او ذاك الى الانعقاد .

كما اننا لم نعالج الموضوع من زاوية "مركزية" بكركي ، ولا من زاوية أهلية مقررات المجمع اللبناني – حتى ولو كانت شرعية – على الانسجام والتأقلم وواقع الحال وحتمية تغييرها .

كما اننا ايضاً لم نتطرق الى بحث سلطة البطريرك الماروني بعد قسمة الابرشيات وكيفية تجانس سلطته مع سائر الاساقفة ، بعد المجمع اللبناني .

لم نتطرق ايضاً الى بحث الناحية الاقتصادية التي كانت وراء خلافات عديدة ، كجباية العشور وغيرها .

نواح كثيرة مهمة لم نأتِ على ذكرها ، علماً انها قادرة على أن تعطي اضواء عديدة على الكنيسة المارونية ، وعلى كيفية انسجامها مع المجمع اللبناني ، في فترة تركيز الحكم الشهابي .

وبالرغم من تلك المشاكل ، استطاع يوسف اسطفان ، الاسقف وفيما بعد البطريرك ، ان يُفرد وقتاً للامور الثقافية ، وللتبادل الثقافي بين الشرق والغرب ، وهذه ناحية غامضة من حياته . طبعاً له مراسلات وتآليف عديدة سوف ينوّه عنها المحاضرون الافاضل من بعدي . حسبي ان اذكّر بعلاقة حميدة ربطته باسقف Beja في البرتغال ، عثرت عليها خلال تنقيباتي في ليشبونه وفي Evora ؛ وكان يومها في البرتغال القسيس يوحنا الدمشقي المعروف بـ Frei Joao de Souza ، ترجمان الملك ورفيقه في رحلاته الى المغرب . هو الذي قام بترجمة رسالة اسقف مدينة Beja الى البطريرك يوسف اسطفان .

وصلت الرسالة الى يوسف اسطفان مع طبيب نمساوي اسمه Andraos Fredericus ، وفيها يطلب كتباً لتعلم اللغة العربية .

واليكم شذرات من جواب يوسف اسطفان:

"ايها الاخ الكلي الشرف والاحترام،

من بعد اهداء السلام بالرب والتحيات الوافرة بالاكرام، نخبر حضرتكم الكلية الشرف والاحترام اننا وقفنا على مشرفة سيادتكم المحررة في ١٣ آب ١٧٧٦ . . . " ويضيف قائلاً: "قد اقتبلنا الطبيب المذكور بكل محبة واكرام، واقمنا بواجبه واسعافه حسب قدرتنا. . . فنحن اذن مقيمون الى الخدمة لكل ما يحدث لسيادتكم من الاغراض نواحينا. وقد وهبنا الكتب العربية التي طَلَبَتّها سيادتكم حسبما امكننا وانوجد عندنا. نرجو ان تكون في محل القبول ولا تواخذونا بالتقصير، لان المرسال ما تعوّق عندنا، ومن قصر الزمان ما قدرنا ان نولف او نشتري غيرها من الكتب. غير اننا نظن ان الكتب الواصلة هي كلها مناسبة وكافية لمن يريد ان يتعلم اللغة العربية. . .

في ٩ آب ١٧٧٨ من دير الطفل المخلص
بقرية غسطا من بلاد كسروان
في جبل لبنان

يوسف بطرس" (١)

---

١) B P E, cod. CXXVIII 1-4, nº 9. 10. 11.

وفي موضع آخر، وجدنا لائحة بهذه الكتب:

- كتاب الايام والليالي لاستعمال الشرقيين.
- كتاب المزامير، مخطوط.
- كتاب المزامير، مطبوع (عربي ولاتيني) للصهيوني ولشلق.
- غرامطيق لمؤلفه Tommaso OBICINI وعنوانه:

Grammatica Arabica Agrumia appellata, 1631.

- قاموس عربي لاتيني لـ Germano da Silesia.

هذه الكتب لا تزال موجودة حتى اليوم في مكتبة اكاديمية العلوم في ليشبونة في دير يسوع Convento de Jesu لمن يريد الاطلاع عليها.

خاتمة

وفي الختام، نعتبر ان يوسف اسطفان الغوسطاوي هو من الشخصيات القوية، ومن رجال الكنيسة الاكثر بروزا في الكنيسة المارونية خلال القرن الثامن عشر. بقي سبعاً وعشرين سنة بطريركاً، منها خمس خارج البطريركية. اكتسب من الشرق نبوغا، ومن الغرب معرفة، فالتقت معرفته ونبوغه واصالته وشاعريته، فكان يوسف اسطفان!

اشتهر بسِعة علمه وتفانيه في خدمة النفوس. حاول جهده ادخال اصلاحات في الانظمة والطقوس الكنسية المارونية، كما اسهم بشكل فعّال في رفع المستوى العلمي للاكليروس الماروني، بتحويله دير مار انطونيوس عين ورقة الى مدرسة اكليريكية، بالرغم من المعارضة القوية التي لاقاها. كان بطريركاً غير اعتيادي لظرف غير اعتيادي ايضاً.

٣- اسباب تنحية البطريرك اسطفان عن ممارسة صلاحيّاته البطريركية

الاب بولس صفير

الحديث عن اسباب تنحية البطريرك يوسف اسطفان الغوسطاوي عن ممارسة صلاحياته البطريركية، هو مغامرة وتحدٍ في آن معاً. فبعد ان استمعنا الى حضرة الخوري ناصر الجميّل يكلّمنا عن حداثة هذا البطريرك الكبير، وتفوّقه في العلوم الكنسيّة في روما، وعن ارتقائه الى الدرجة الكهنوتيّة، ومن ثمّ الى الدرجة الاسقفيّة بعد عودته الى لبنان، نتوقّف الآن عند اسباب المحنة القاسية التي تعرّض لها بعد ارتقائه السدّة البطريركيّة.

انني لا ادّعي، ولا اخالكم تحسبونني ادّعي، انه بوسعي ان اتطرّق الى هذه الاسباب من جميع نواحيها وخلفيّاتها، وان اسلّط الاضواء في مدى نصف ساعة، على جميع الاحداث المتشابكة والادوار المتلاحقة التي لعبها اشخاصٌ عديدون، كنسيّون وعلمانيّون، وطنيّون واجانب، في اخطر مأساة عرفها تاريخ الطائفة المارونية. فتداخلت فيها المآرب السياسيّة الى جانب الاهداف

الدينيّة، والاطماع البشريّة الى جانب السعي المتواصل للحدّ من بلوغ اهدافها. فموضوع البحث واسع، والرغبة في تقصّي المعرفة ملحّة، واللهفة في اكتشاف حقيقة الاسباب التي ادّت الى انفجار الازمة مشوّقة. ولكن بسط هذه الحقائق التاريخية، بعد مضي مئتي سنة على حدوثها، بالواقعيّة التي تستحق، هو مغامرة من ادقّ المغامرات، ولفظ الاحكام لها او عليها من خلال الوثائق والمستندات الصحيحة، هو تحدٍّ للذات قبل ان يكون تحدّياً لاصحابها. ومن المعلوم انه كُتب الكثير الكثير عن قضيّة تنحية البطريرك يوسف اسطفان، وعن مداخلات الكرسي الرسولي في قضيّة الراهبة هنديّة والغاء رهبانيتها، وعن تطبيق رسوم وقوانين المجمع اللبناني المنعقد في ديرسيدة اللويزة - كسروان سنة ١٧٣٦، هناك فقط مؤلفات الاب بولس عبود الغوسطاوي: "بصائر الزمان"، و"الاصول المحجوبة" بجزئين، و"المجالي التاريخية" وتبلغ ٢٠١٩ صفحة. وهذا ما جعلني احرص، قبل كل شيء على ان يكون حديثي معكم هذا المساء، ليس مجرّد بحثٍ بقدر ما هو خلاصة ابحاث، ولا سرداً متسلسلاً لنواحي متعدّدة من مجموعة احداث متلاحقة، بقدر ما هو حكمٌ على هذه الاحداث لجلاء الحقيقة وتبيان دوافع اسبابها ومسبّباتها.

كان القرن الثامن عشر الذي امتدّت في النصف الاخير منه ولاية البطريرك يوسف اسطفان، عصرَ الغليان الفكري،

والتحرّكات السياسيّة، والانتفاضات الثوريّة، في الغرب المسيحي كما في الشرق. ورافق هذه التحرّكات في المجتمع الاوروبي آنذاك، تحرّر على صعيد العقيدة والايمان لدى بعض الافراد. فتفشّت المبادئ الفلسفية الهدّامة، وكثرت التيّارات الفكريّة المناهضة للدين والاخلاق، وسيطرت موجة من الالحاد في بعض الاوساط. وثار بعض المفكّرين على التقاليد والعادات الموروثة، وتناولوا في تآليفهم وكتاباتهم الاوضاع السياسيّة، والمؤسسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتربويّة بالنقد والتجريح. ولم تسلمْ المؤسسات الدينيّة من شظايا النقد والانتفاضات المناوئة للسلطة الكنسيّة.

ولم يكن شرقنا المسيحي ومجتمعنا اللبناني اوفر حظاً من الغرب، في بلدان اوروبا بوجهٍ عام وفرنسا بوجهٍ خاص، حيث حصدت الثورة الفرنسية الآلاف من الضحايا، وقوّضت عرش الملوك الفرنسيين. فمنذ بداية القرن الثامن عشر، كان الجبل اللبناني والطائفة المارونية مسرحاً للمداخلات السياسية والمؤامرات الاجنبيّة والمنازعات الاقطاعيّة. فاعترى ادارة المؤسسات الزمنيّة والدينيّة خللٌ من الداخل، وتسرّب الى رونق سلوكها شحوبٌ. وفقدت السلطة، المؤتمنة على خير البلاد وراحة العباد، هيبتها المعهودة في العديد من المناسبات. وهذا ممّا دعا على الصعيد الكنسي، الى عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦، ولم يكن عقده ممكناً لولا الحاجة

والاوضاع المتردّية الدّاعية الى ذلك. وظهرت في النصف الثاني من هذا القرن، فوق مسرح الاحداث اللبنانية، الراهبة هندية عجيمي، فزادت الاوضاع الكنسية تعقيداً، وحارت بها عقول وافكار معاصريها، حتى بدت امرأة غريبة الاطوار، عجيبة التصرّف والغرور، لم يذكر التاريخ المعاصر ولا القديم اغرب منها امرأة. فهبّت على الطائفة كعاصفة هوجاء بلبلت الكنيسة المارونية والمجتمع اللبناني ما يقارب النصف قرن. ولم تسلم ادارة الكنيسة وسياسة ابناء الطائفة المارونية من مداخلات المرسلين الاجانب وجهودهم المستمرّة في لعب دور الرقيب الرسولي حول ما كان يقوم به ويعمله السيد البطريرك والسادة الاساقفة من اعمال رعويّة ونشاطات رسوليّة، وما كانوا يأخذونه من مواقف سياسيّة.

وعلى الصعيد الزمنيّ، لم تكن الاحوال اهدأ بالاً واوفر سلاماً منها على الصعيد الكنسي؛ فكان هناك صراع على السلطة بين افراد العائلة الحاكمة. وكان غالباً الشقيق يشهر السلاح بوجه الشقيق، والنسيب يغدر بالنسيب. وهذا ما جرى للامير بشير الثاني الكبير الذي تسلّم زمام الامارة في ايام البطريرك يوسف اسطفان. ولم يستتبّ له الحكم الاّ بعد ان قضى على نسيبه الامير يوسف الشهابي شنقاً بواسطة احمد باشا الجزار، وسَمَلَ اعين اولاده ليمنعهم من تولّي الحكم بعده، وقتل الزعيمين المارونيين الاخوين جرجس

وعبد الاحد باز اللذين كانا من انصار الامير المغدور.

في اطار هذه الاجواء، تمّ انتخاب المطران يوسف اسطفان الى السدّة البطريركيّة، في ٩ حزيران سنة ١٧٦٦، في دير مار شلّيطا مقبس المجاور لبلدته غوسطا. واذا كان لهذه الاجواء من دلائل تدلّ عليها، فهي تبدو لنا ملبّدة بالغيوم، مكفهرّة الآفاق، معقّدة الاوضاع، مشحونة بالصراعات الداخلية والخارجية، تنذر بهبوب العاصفة الهوجاء، وتنتظر نيران الفتنة المتوقّعة الشرارة الاولى للاندلاع.

وعندما اندلعت نيران الفتنة هذه، اصابت رأس الكنيسة المارونية الاعلى، فأُقصي البطريرك يوسف اسطفان عن مزاولة سلطانه البطريركي خمس سنوات، من ١٧٨٠ حتى ١٧٨٥. وكان لهذا الاقصاء اسباب قريبة مباشرة سنتوقّف عندها الآن:

اولاً: تطبيق مقرّرات واحكام المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦

ان اول ما يثير الدهشة بعد اجماع كلمة اساقفة الكنيسة المارونية، واتفاقهم في الرأي على انتخاب المطران يوسف اسطفان الى السّدة البطريركية في ٩ حزيران سنة ١٧٦٦، هو انقلابهم

السريع عليه وتواطؤهم على معارضة مشاريعه الاصلاحيّة في الكنيسة. ويتساءل المؤرّخون والباحثون عن اسباب هذا الانقلاب السريع والتغيير الفجائي في موقف الاساقفة! ونجيبهم نحن، بعد الوقوف على المراجع الاصليّة، وبعد استقصاء وجه الحقيقة الراهنة من خلال الكتب والوثائق والمستندات التي اشرنا اليها سابقاً، ان السبب الاساسي لهذا الانقلاب هو محاولة تطبيق مقرّرات واحكام المجمع اللبناني المنعقد في دير سيدة اللويزة- كسروان - سنة ١٧٣٦. وقد شاء البطريرك يوسف اسطفان، منذ ان تقلّد مقدرات الكنيسة المارونية، ان يبدأ الاصلاح فيها من قمّة هيكليّتها ومن رأس الهرم، اي من اقرب المقرّبين اليه، واعني بهم السادة الاساقفة انفسهم، فثاروا عليه، وحاولوا تفشيل مساعيه الخيّرة.

والمجمع اللبناني، كما تعلمون، هو اهمّ حدث في الكنيسة المارونية، على صعيد التنظيم والاصلاح وسّن القوانين الكنسية. ولا يخفى على كل ذي بصيرة ما رافق انعقاده ومتابعة اعماله من مراجعات ومداخلات، وما نتج عن تطبيق مقرّراته واحكامه من تحفّظات وصعوبات. ولم يتمكّن بعد انعقاده احدٌ من البطريركين، سمعان عوّاد (١٧٤٣-١٧٥٦) وطوبيا الخازن (١٧٥٦-١٧٦٦)، من تطبيق احكامه ومقرّراته بالحزم والشدّة التي كانت تقتضيهما الاوضاع الراهنة. فظلّت تلك الاحكام حبراً على ورق حتى تبوّأ

البطريرك يوسف اسطفان السّدة البطريركية سنة ١٧٦٦ ، بعد ثلاثين سنة من انعقاد هذا المجمع .

ولّما كان البطريرك يوسف اسطفان عالماً علاّمة ، ورجلاً تقياً وقوياً ، ومدافعاً عن الحق وعنيداً ، وشديد المراس وشجاعاً ، وصلب الارادة وحاذقاً ، اطلق بعد تولّيه مهامّه البطريركيّة الجسام ، حركة الاصلاح الكنسي ، بتطبيق مقررات واحكام المجمع اللبناني . ولّما كان يعلم مسبقاً ما سوف يواجهه من عقبات كؤود وعراقيل جسام ، رأى من باب حسن التدبير والحكمة ان يلجأ الى الكرسي الرسولي ليستعين به على تذليلها ، فرفع الى مجمع نشر الايمان عريضة ضمّنها هذه المقرّرات ، واهمّها:

١ً- ان تُحصر كراسي الاساقفة بثمانية فقط ، بعد ان حدّدها هكذا المجمع اللبناني . وهنا تجب الاشارة الى انه كان يوجد حتى ذلك التاريخ ، اساقفة اكثر مما يوجد ابرشيّات؛ وكان الاساقفة حتى انعقاد المجمع اللبناني يمارسون صلاحيّاتهم وواجباتهم الرعويّة كنوّابٍ بطريركيّين يُرسلهم البطريرك الى الابرشيّات ساعة يشاء ، بعد ان يفوّض اليهم هذه الصلاحيّات ، بواسطة منشور يخوّلهم زيارة الابرشيّة ، وتثبيت الاحداث ، وسيامة الكهنة ، وجباية العشور .

٢"- ان يُلزَم الاساقفة الذين قسم سلفُه البطريرك طوبيا الخازن، الابرشيات بينهم على العودة اليها، اذا كان بعضهم يسكنون في امكنة بعيدة عنها، وان يختار البطريرك الحالي للابرشيّات الشاغرة اساقفة جدداً، يكونون ذوي كفاءة واكثر اهليّة من بقيّة رجال الاكليروس.

٣"- ان ينفّذ الاساقفة ورجال الاكليروس العالمي والقانوني وجميع ابناء الطائفة احكام المجمع اللبناني، وان يخضع الرهبان والراهبات والنساك اياً كانوا للسيد البطريرك وللسادة الاساقفة ولرؤسائهم المحلّيين وفقاً لفرائضهم الخاصّة ولاحكام المجمع اللبناني.

هذه هي اهم المقرّرات التي تضمّنتها عريضة البطريرك يوسف اسطفان.

نظر المجمع في هذه المقرّرات، فوجدها مطابقة لروح ونصّ المجمع اللبناني، وملائمة للتهذيب الكنسي بين رجال الاكليروس، ورأى فيها بداية لاصلاح شامل في الكنيسة المارونية. فاثبتها البابا اكليمنضوس الثالث عشر ببراءة رسولية مؤرّخة في ٢٢ آب سنة ١٧٦٧، محرّضاً البطريرك يوسف اسطفان على مواصلة السعي والاهتمام بحركة الاصلاح التي شرع بها، وهي سوف "تعود اليه بالفخر العظيم" (والكلام هنا هو لقداسة البابا).

ولمّا وصلت براءة البابا الى البطريرك يوسف اسطفان ، نادى هذا الاخير بعقد مجمع طائفي في دير مار يوسف الحصن في غوسطا ، في ١٦ ايلول سنة ١٧٦٨ . فاذيعت في هذا المجمع البراءة البابويّة ، واقرّت على الاثر عدّة قوانين تهدف الى تثبيت التهذيب الكنسي ، وتعزيز النظام ، واقرار الاصلاح المنشود . وكان البطريرك يحرّض بقوله ومثله على تطبيق مقرّرات واحكام المجمع اللبناني .

ولكن لما كان المتضرّرون من هذا الاصلاح اكثر من المستفدين ، بدأت اصوات المطالبين بالاعفاء من تنفيذ هذه الاحكام ترتفع ، واخذت تكتّلات الناقمين تتكاثر ، وراحت مطالبهم ، غير القانونية والبعيدة عن الصواب والعدالة تتفاقم وتتفاعل . وكان في مقدّمة هؤلاء الناقمين بعضُ الاساقفة ، والرهبان ، والمشايخ ، والاعيان ، الذين استاؤا من تصرّف السيد البطريرك لكونه لم ينزل عند رغباتهم ، والّفوا ضدّه عصبة قويّة زرعت بذور التفرقة في الكنيسة المارونية ، وشجعّت على العصيان ، ورمت البلبال في صفوف رجال الاكليروس وبين ابناء الشعب . ويكفي هنا ان نذكر انه في سنة ١٧٦٩ ، اجتمع ستة اساقفة في دير مار موسى بلّونه في المحلّة المعروفة باسم رام بو دقن ، بالقرب من عجلتون ، واقرّوا بعض قضايا ادرجوها في رسالة لهم بعثوا بها الى ابناء الكنيسة المارونية ، وفيها يتشكّون من سياسة البطريرك وتحامله عليهم وعلى ولايتهم

الكنسيّة. وكان المحرّض على هذا التشكّي المطران ميخائيل فاضل خصم البطريرك الشهير، ورفيقه على مقاعد الدراسة في المدرسة المارونية في روما، ومنافسه في حدّة الذكاء والتضلّع من العلوم الكنسيّة واللاهوتيّة، وهو الذي سيخلفه على السدّة البطريركية بعد وفاته سنة ١٧٩٣.

ولكن، لمّا كان المجمع اللبناني يحظّر على المطارنة التآمر ضد السيد البطريرك، ويحرّم عليهم ان ينصبوا له الغوائل، او يتجاسروا على عقد مجمع ضدّه، او ان يجحفوا بكرامته، استند البطريرك يوسف اسطفان الى نصّ هذا المجمع، حالما بلغه اجتماع السادة الاساقفة غير القانوني ضدّه، فأنفذ اليهم حرماً، وتهدّدهم باذاعته على ابناء الكنيسة المارونية اذا لم يتبدّد كل الى مكانه. فانفضّت حلقتهم على الفور، وانطلقوا كل في سبيله، ولكن على مضض. وكانت مقرّرات واحكام المجمع اللبناني، سبب خصام بينهم وبين رئيسهم الاعلى. هكذا كانت الحركة الاصلاحيّة التي نادى بها البطريرك يوسف اسطفان سبب ازمة قويّة بحدّ ذاتها، ما لبثت ان لاقت تجاوباً سريعاً وخطيراً في صفوف ابناء الشعب المتهاونين والعابثين بالشرائع والقوانين. فامسى البطريرك يوسف اسطفان من جرّاء تطبيق مقرّرات واحكام المجمع اللبناني، ضحيّة المجمع اللبناني بالذات، وشهيد الحركة الاصلاحيّة في كنيسته.

ثانياً: مداخلات الحكّام واصحاب النفوذ في شؤون الطائفة المارونية

في عهد الامارة الشهابيّة قويت الروح الاقطاعيّة لدى بعض العائلات النافذة، وبنوع خاص بعد ان آلت الامارة المعنيّة الى الشهابيين سنة ١٦٩٧، واعترف الامير حيدر شهاب بمشيخة آل الخازن في كسروان، ومشيخة آل حبيش في قاطع غزير، فوضع هاتين الاسرتين على قدم المساواة مع المشيخات الدرزيّة في الجرد والغرب والشوف. وهكذا اصبحت الامارة الشهابيّة شراكة اقطاعيّة بين المشايخ الدروز والموارنة على حدٍّ سواء، يترأسها الامير الشهابي السني كوالٍ. فارتاح ابناء هذه العائلات المارونية الى هذا التنظيم الجديد الذي ساوى بينهم وبين العائلات الدرزيّة الكبرى في المكانة. وهنا يخيّل الينا انه بدأ صراع خفي بين البطاركة الموارنة، الزعماء الروحيّين التقليديين للشعب الماروني من جهة، وبين زعماء العائلات الاقطاعيّة، التي راحت تسعى لتحلّ محلّ الرؤساء الروحيّين من جهة اخرى. ولكن هذا الصراع اخذ منحىً خطيراً عندما بدأ الامراء الشهابيون انفسهم ينحازون شيئاً فشيئاً، في منتصف القرن الثامن عشر، الى الموارنة، وبنوع خاص عندما تنصّروا واعتنقوا الدين المسيحي بحسب الطقس الماروني. ولمّا خلف الامير يوسف شهاب عمه منصور في الامارة سنة ١٧٧٠، في ايام البطريرك يوسف اسطفان، كانت الامارة الشهابية قد تحوّلت الى امارة مارونية،

وتحوّل معها الصراع الخفي الى صراع علني. واصبحت هكذا مداخلات اهل الحكم واصحاب النفوذ في ادارة الكنيسة المارونية واقعاً لا مفرّ منه بسبب حبّ السيطرة والنفوذ.

وبعد ان تبوّأ المطران يوسف اسطفان السدّة البطريركية، وتألّبت ضده عصبة قويّة من الاساقفة، والاكليروس، والرهبان، والاعيان، كما سبق ورأينا، كان من الطبيعي ان يلجأ افرادها الى ذراع الحكام المدنيّين واصحاب النفوذ لتعزيز موقفهم العدائي من السيد البطريرك. وكان من بين مستشاري الامير يوسف الشهابي آنذاك، المستشاران المارونيان الشيخ سعد الخوري وسمعان البيطار. فهذان المستشاران ناصَرا، مع الامير يوسف مناوئي البطريرك لمآرب شخصيّة سياسيّة واقتصاديّة، اكثر منه لاضعاف موقف البطريرك تجاه خصومه. وهذه المآرب تجلّت بنوع خاص في فرض الضرائب الثقيلة، بحيث كان الحكّام يتّخذون من انقسامات رجال الدين ذريعة لهم للتدخل في شؤون الطائفة، وفرض الضرائب التي كانوا يرون في تأديتها وسيلة لاستمالة خواطرهم على من يؤدّونها لهم. وكان من الصعب ارضاء خاطر الحاكم في مثل هذه الظروف، وهذا ما اشار اليه البطريرك يوسف اسطفان بقوله:

"اني منذ ان انتخبت بطريركاً الى الآن، لم يكن بالامكان ارضاء خاطر الحاكم ولا ارضاء مستشاريّه، سعد الخوري وسمعان البيطار، بل

احتملت منه اضطهاداً متواصلاً، وقد فرض عليّ وعلى الكرسي البطريركي ضرائب ثقيلة هي ابعد من ان تكون عادلة. وعوضاً من ان احتكم انا الى هذا الحاكم ضد الاساقفة المناوئين، فهم الذين لجأوا اليه اولاً بواسطة مستشاريه وكواخيه لقضاء اغراضهم ومآربهم". (١)

وفي موضع آخر يقول البطريرك يوسف اسطفان عن مداخلات الحكّام في شؤون الطائفة:

"اني اذعنت مكرهاً لرغبة هؤلاء الاساقفة المناوئين، لان امورهم واغراضهم كانت بيد هؤلاء الكواخي سعد الخوري وسمعان البيطار". (٢)

وينسب البطريرك يوسف اسطفان عقد مجمع رام بو دقن الى مستشاري الحاكم فيقول:

"وهذا المجمع قد تمّ بمشورة ورأي كواخي الحاكم؛ وبما انه كان ملتئماً بقوة ذراعه، تجاسر هؤلاء الاساقفة ووجّهوا رسائل ومكاتيب الى نواحي مختلفة من المناطق اللبنانية". (٣)

---

١) بصائر الزمان، صفحة ٢٤.

٢) بصائر الزمان، صفحة ٢٧.

٣) بصائر الزمان، صفحة ٣٠.

فهذه المداخلات السافرة ادّت الى حدٍ بعيد الى تنحية البطريرك يوسف اسطفان عن مزاولة مهامه البطريركيّة. وقد لجأ الاساقفة المناوئون والقصّاد الرسوليون الى الحكّام والمستشارين لبلوغ مآربهم. ولكن لمّا كان المال المسلوب بالطرق غير الشرعيّة يوازي في الاغراء اخذه بفرض الضرائب، فقد كان للمال المسلوب دورٌ في تنحية البطريرك يوسف اسطفان.

ثالثاً: دور المال والمنفعة الشخصيّة في تنحية البطريرك يوسف اسطفان

لقد قيل: المال هو أداة خصام بين الناس، وكيف به عندما يصبح اداة منفعةٍ لفريقٍ ثالث يسلبه بطرق غير شرعية بغية استئصال الخصومة بين المتخاصمين! لقد كان الامير يوسف الشهابي بحاجةٍ ماسة الى الاموال الطائلة لسدِّ نفقات الحروب والمنازعات مع احمد باشا الجزّار، ولذلك كان يلجأ الى فرضِ الضرائب الباهظة على الشعب ورجال الدين لتغطية هذه النفقات. ولمّا كان القسم الاكبر من هذه الضرائب يُفرَض على الكرسي البطريركي، كان البطريرك يوسف اسطفان يستعين بالاديار الاخرى والرهبانيات لايفاء هذه الضرائب. ولمّا كان دير بكركي آنذاك من اغنى أديار لبنان والشرق، نظراً لاغداق التقادم والنذورات عليه بسبب شهرة الراهبة

هنديّة، واعتقاد الناس بصحّة قداستها، أثارت امواله الطائلة رغبة جامحة لدى الامير يوسف في الاستيلاء عليها، فراح يتحيّن الفرص لبلوغ الارب. ولما كان البطريرك يوسف اسطفان من أقوى مناصري الراهبة هنديّة التي كانت تساعده على ايفاء قسطٍ وافر من هذه الضرائب، أوغر خصوم البطريرك صدرَ الامير عليهما، فوشوا بها الى الكرسي الرسولي بأنها ضالّة عن سراط الايمان والعقيدة، واتهموا السيد البطريرك بالانجراف في مجرى هذا الضلال. ولمّا اصدر الكرسي الرسولي قراراً بالغاء رهبانية هنديّة وتنحية البطريرك يوسف اسطفان، أسرع خصومهما فحلّلوا للامير يوسف ولمستشاريه حق الاستيلاء على أموال وممتلكات دير بكركي الطائلة. وإذ رأى الامير يوسف الفرصة مؤاتية لتحقيق امنيته، أرسل مستشاره الشيخ سعد الخوري على رأس ثمانين خيالاً، فانقضوا على الدير عنوة، وسلبوا جميع امواله، بعد ان تفرّقت الراهبات ولجأن الى الاحتماء في الاديار المجاورة. وهكذا يكون المال والمنفعة الشخصيّة قد لعبا دوراً كبيراً في إلغاء رهبانية هنديّة وتنحية البطريرك يوسف اسطفان. وقد شرح البطريرك نفسه اغراء الامير ومستشاريه بأموال بكركي في احدى رسائله، قال:

"ولكن المطران فاضل، والقاصد الرسولي، والآباء الكبوشيين، لم تطب انفسهم بذلك ويعني "بذلك" استتباب الامن والاستقرار بدير بكركي، فلجأوا الى قوة الامير وأغروه بان يرسل مستشاره الى دير بكركي واعلنوا له

رأيهم انه مسموح له ان ينهب كل اموال الدير المذكور: فالله يعلم كم من مئات الاكياس قد أخذ المستشار المحدّث عنه، من الدير المذكور، يؤيده ضمير المذكورين ورأيهم". (١)

رابعاً: تضامن القصّاد الرسوليين مع مناوئي البطريرك يوسف اسطفان على تنحيته

القصّاد الرسوليون والمرسلون الاجانب الذي تولّوا مهام القصادة ونقل البراءات والارادات الرسولية في ايام البطريرك يوسف اسطفان كانوا من طينة بني البشر، لهم مآربهم الشخصيّة ومنفعتهم الخاصّة، كما لهم ضعفهم البشري ونقصهم الظاهر امام أعين المراقبين. وكلما كان هذا الضعف يتلبّس بالغايات البشريّة ومحاباة الوجوه، كلما كانت الاوضاع تتردّى والهوّة تتسع بين البطريرك يوسف اسطفان والكرسي الرسولي. وان بُعد المسافة وصعوبة المواصلات آنذاك بين روما والطائفة المارونية ساعدا في تأخير ايجاد الحلول لرأب الصدع وتسوية الخلافات. ولّما كان القصاد الرسوليون في اغلبيتهم من الآباء الفرنسيسكان ومن حرّاس القبر المقدس، كان لهم بعضُ الالمام باللغة العربية وبعادات الشرقيين واخلاقهم. والقسم

---

١) بصائر الزمان، صفحة ٥٩.

الاكبر منهم قضى بضع سنوات في الديار المشرقية، وكان لهم معرفة سابقة ببعض الولاة والحكّام كما كان هناك مصالح مشتركة بين الفريقين.

ان هذه الاجواء وما رافقها من تشابك في المصالح، واختلاف في الامزجة، وتباين في الآراء، لم توفّر النجاح الكافي لقصادة الاب فالاريانو دي براتو سنة ١٧٧٣، ولا لقصادة الاب بطرس دي موريتا سنة ١٧٧٥. فكان كل منهما فريقاً في الصراع بدلاً من ان يكون حَكَماً، ودخلا في حلبة النزاع وهما بعد في روما او في الاراضي المقدسة قبل ان تطأ ارجلهما ارض لبنان. فجاءا بحلولٍ معدّةٍ سابقاً ومودعة في محفظتيهما، لاوضاع متردّية وازمات مستعصيّة، قبل ان يستمعا لجميع الفرقاء ويزنَا الامور برجاحة العقل ومثقال الحكمة ومعيار فطنةِ التدبير. وهذا مما ادّى الى فشل قصادتيهما، وزاد في تأزم الاوضاع. وقد تشكّى البطريرك يوسف اسطفان ذاته من القاصد فالاريانو دي براتو بقوله:

"ان خبرَ قصادة هذا البادري قد تحرّر من تسعة مطارين في وثيقةٍ موقّعة منهم وممهورةٍ بأختامهم وخطوط ايديهم، وهي موجودة عندنا ومنها يظهر بيانُ غرضِ هذا البادري المحترم. فان كان غرضه صدر عن قلّة خبرة او عدم كفاية فاني اترك هذا الحكم لله. انما الذي ظهر منه قد اوضح كفاية ميله مع المطارين المتعصّبين ضدنا. فالقاصد المذكور استقام مباشراً قصادته اثنين

واربعين يوماً ، وفي كل هذه المدّة لم يطلب رأينا ولا رأي او مشورة احد المطارين الخاليين من الغرض . وعندما انفرد في ديره في حريصا ، توجّه الى هناك المطران مخايل فاضل مع اربعة مطارين مناوئين لنا ، فاستقام يعولهم ستة ايام حتى كتبوا له ما اراد . وعندما كتبنا نحن وعشرة مطارين مكتوباً لحضرته وارسلناه مع كاهنين من تلامذة روما ، ليُعلمنا بشكاوى المطارنة ضيوفه ضدنا ، عاد الكاهنان بدون جواب ولا كتابة . وهذا دليل واضح على انه استضيع في بطريرك وعشرة مطارين نصف طلحية ورق"(١) .

ولما تأكّد البطريرك يوسف اسطفان من عدم جدوى قصادة الاب فالاريانو ، وتبيّن له ان الفئة المناوئة قد وشت به الى الكرسي الرسولي ، واتهمته بقضايا لا صحّة لها ، قرّر ايفاد قاصدٍ بطريركي من قِبَله الى روما ، هو المطران ارسانيوس عبد الاحد مطران دمشق ، الذي حمّله رسائل وتقارير يبسط فيها للكرسي الرسولي الاوضاع والامور على حقيقتها . وقبل ان يصل موفد البطريرك الى روما ، عقد كرادلة المجمع المقدس جلسة في ٨ تموز سنة ١٧٧٤ ، وأقرّوا فيها احكاماً تتعلّق بالطائفة المارونية ، ومنها ان الترخيص في اكل اللحم يوم الجمعة الواقع فيه عيد قلب يسوع يجب ان يُلغى ، وان بطريرك

---

١) بصائر الزمان ٢١–٢٢ .

الموارنة لا يستطيع ان يمنح غفارين كاملة اذا لم يكن له انعام الكرسي الرسولي. وأُرسلَت هذه الاحكام مع قاصدٍ جديد هو الاب بطرس دي موريتا الفرنسيسكاني الذي وصل الى لبنان في اواخر كانون الثاني سنة ١٧٧٥. وبعد وصوله، اختلف البطريرك يوسف اسطفان معه، منذ اول لقاء جرى بينهما، على اذاعة الاحكام. فكان البطريرك يرغب الاّ تذاع هذه الاحكام ريثما يأتي الجواب من روما بعد وصول موفده اليها المطران ارسانيوس عبد الاحد، بينما القاصد كان يلحّ على اذاعة الاحكام فوراً. ولمّا قاوم البطريرك رأي القاصد ومنعه من اذاعة الاحكام، شَكا هذا الاخير امره الى الامير يوسف شهاب، فتحوّل هكذا النزاع الخفي بينهما الى صراع علني. وقد روى لنا الاب اغناطيوس دي بابيانو الفرنسيسكاني، رئيس دير مار انطونيوس حريصا واخوهُ من الرهبانية، تفاصيل هذا النزاع، فقال:

"بعد ان وصل الاب بطرس دي موريتا الى لبنان، ذهب بعد ايام قليلة الى غوسطا ليقدّم للبطريرك اوراق قصادته، فقبله البطريرك بالاجلال. فشرح له القاصد ما كان مفوّضاً اليه من المهام. فسأله البطريرك بإلحاح ان يتكرّم فيؤجل تنفيذ الاحكام الى حين ورود جواب رومية على ما بسطه بواسطة موفده المطران المذكور، وبيّن له خطورة ذلك. فأبى القاصد ان يجيب البطريرك الى طلبه، عملاً برأي المطران مخايل فاضل عدو البطريرك المشهور الذي عقد معه القاصد تحالفاً قوياً، وشرع يسعى لدى الامير يوسف

ليكره البطريرك بالقوّة على عقد مجمع وانفاذ الاحكام التي كان آتياً بها" (١).

يبيّن لنا تصرّف القاصدين الرسوليين هذا الى حدٍّ بعيد كم كان تأثيرهما بليغاً لدى الدوائر الرومانية في تنحية البطريرك يوسف اسطفان عن مزاولة مهامه وصلاحيّاته البطريركيّة. فاذا كانا قد تحالفا مع مناوئيه في لبنان وقاوماه وهو في عقر داره، فهل كانا يُحجمان عن ذلك وهو بعيد عن الاعتاب الرسولية وغير ماثل امام مجمع الكرادلة للدفاع عن نفسه؟

خامساً: انفجار جميع الازمات بانفجار قضيّة الراهبة هنديّة التي كانت السببَ المباشر للتنحية

لم يستطع خصوم البطريرك يوسف اسطفان ومناوئوه ان يصوّبوا اصبع الاتهام الى شخصه الاثيل بطريقة مباشرة ليثلبوا صيته، سوى انه كان عنيداً للغاية. فقد قال عنه القاصد الرسولي بطرس دي موريتا يوماً: "لم يكن شيء في الدنيا يقوى على قهر رأيه". ويوعز بعض المؤرخين هذا العناد الى تمسّكه بحقوق البطاركة سلفائه وحقوق

---

١) بصائر الزمان، صفحة ٥٣.

الطائفة ، بحيث انه لم يكن يريد ان يحيد قيد أنملة عن تقليدٍ او عادةٍ قديمة سار عليها سلفاؤه العظام . وهذا الموقف الحازم هو الذي زاد مع الوقت عدد اخصامه ومناوئيه ، ولكن لمّا لم يستطع هؤلاء الاعداء ان ينالوا منه مأرباً لبراءة سريرته واستقامة نيّته وصحّة افعاله ومآتيه ، صوّبوا سهامهم الى الراهبة هنديّة عجيمي ، فثلبوا صيتها وصيت رهبانيتها وشهّروا بها وحطّموها بغية النيل من البطريرك يوسف اسطفان نصيرها الكبير . وعندما تحطّمت هي أصابته هو بعض الشظايا ، وانفجرت هكذا جميع الازمات بانفجار قضيّتها ونال المغرضون والمناوئون مأربهم منه ومنها .

واما الراهبة هنديّة ، فاسمحوا لنا ، ايها السيدات والسادة ، ان نبدي في شخصيّتها وقضيّتها هذا الرأي الذي تكوّن لدينا بعد قراءات عديدة حول صحة الاقاويل التي قيلت فيها ، وتفكير طويل وتأمل في بعض تآليفها . انها والحق يقال امرأة مظلومة في حياتها وبعد مماتها وحتى في حكم بعض المؤرّخين عليها . ان اسمها الذي اصبح مرادفاً للاسطورة ينسب اليه المعاصرون ألف قصة وقصة والف نسيج ونسيج من الاخبار الغريبة والمستهجنة التي لا تمتّ الى الحقيقة بصلة . لقد حان الاوان لان يلفظ التاريخ حكمه الصحيحَ في قضيّة الراهبة هنديّة . انها في رأينا الوضيع سبقت في الزمن العلمَ النفساني الذي لم يكن في امكانه ، في منتصف القرن الثامن عشر ، ان يشرح

ما كـان ينتابها من رؤى وتخيّلات وانجذابات . فهندية كانت تتمتّع بشخصيّة قويّة وبجاذبيّة تأثيريّة على من حولها ، تشبه الى حدٍّ بعيد جاذبية الاشخاص الذين يسمّيهم اليوم علم النفس "اشخاصاً تأثيريين" . فهي ليست مخطئة في ذلك لانها ولدت هكذا كما يولد اليوم الاشخاص الذين بامكانهم ان يؤثروا على الآخرين في عمليّات التنويم المغناطيسي مثلاً . والخطأ الذي اقترفه مرشدوها بحقّها هو انهم لم يفهموها بدورهم . فنقلوا قوّة جاذبيتها وشدّة تأثيرها من عالم علم النفس الى عالم الروحيّات . فانخدعوا هم اولاً بإيحاءاتها ورؤاها ، وانخدعت هي بعدهم في ذلك . ولمّا لم تجد تفسيراً لقوّة جاذبيتها على صعيد العلم النفساني في ايامها ، اوعزت ذلك الى واقع اتّحادها الحميم بنفس وجسد السيد المسيح . وهذا ما أسماه الحكم الصادر سنة ١٧٧٩ عن الكرسي الرسولي بالغاء رهبانيتها ، غروراً بيّناً مقروناً بالتمرّد والعصيان ، وان اوحيتها وتعاليمها في الاشياء المقدسة هي كاذبة وفاسدة . لذلك نحن نرى انه اصبح من الممكن ان تعاد قضيّة الراهبة هنديّة الى واجهة تفسيرات علم النفس العصريّة ، وان توجّه الدراسات حول قضيّتها من هذا المنطلق لجلاء الحقيقة واظهار قسمات هذا الوجه الماروني الملطّخ حتى يومنا هذا بالهزء والعار .

سادساً: الخاتمة

واخيراً وبعد مضي مئتي سنة على تنحية البطريرك يوسف اسطفان عن ممارسة صلاحيّاته البطريركيّة، ثم رجوعه الى ممارستها بعد اقصائه عنها خمس سنوات (من سنة ١٧٨٠ حتى سنة ١٧٨٥)، اذا جاز لنا ان نتبيّن علامات الازمنة، ونحدّد على ضوء التاريخ تصوراً جديداً لفترة ولاية البطريرك يوسف اسطفان بالنسبة الى ولايات بطاركة العهد العثماني الذين سبقوه او تخلّفوا بعده على الكرسي الانطاكي، فنحن نرى في فترة ولايته، ملتقى ازماتٍ متعدّدة سبقتها او لحقتها. فتسببّت بمعظمها من احتدام في الصراعات السياسيّة والاقطاعيّة، ومن منازعاتٍ محليّة واقليميّة، ومن خللٍ في تنظيم الشؤون الدينيّة والكنسيّة، ومن مداخلات الحكام واصحاب النفوذ في ادارة الكنيسة المارونية، ومن خلافاتٍ حول تطبيق احكام المجمع اللبناني، ومن تضامن القصاد الرسوليين مع مناوئي البطريرك يوسف اسطفان ذاته، ومن تدهور في القيم الاخلاقيّة. فانفجرت هذه الازمات في مدّة زمنيّة لم تتجاوز الربع قرن، واطلقتها قضيّة واحدة، هي قضيّة الراهبة هنديّة عجيمي، وانصبّت بثقلها على كاهل شخصٍ بريء هو البطريرك يوسف اسطفان الغوسطاوي فكان كبش المحرقة.

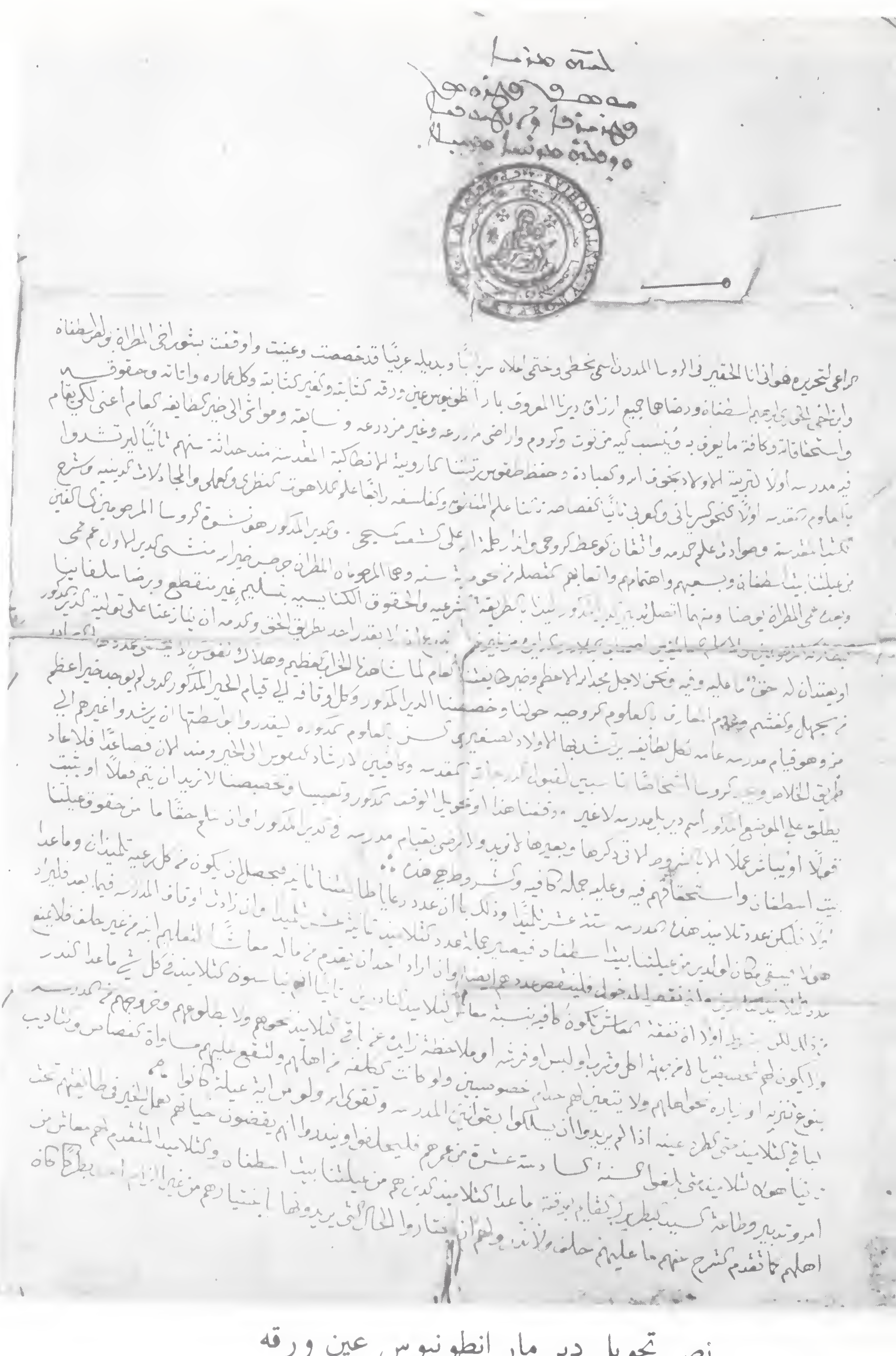

نص تحويل دير مار انطونيوس عين ورقه

الى مدرسة، بخط البطريرك يوسف اسطفان

اولاً ثانياً ... ثالثاً لا يكون لاحد من الروسا الكنايسيين حق او تسلط او تصرف ما في المدرسة المذكورة في
السيد البطريرك الكاثوليكي بوقته ولكن تسلطه عليها بحسب الطرايق والحقوق والعوايد الكنايسية فقط اي لينظر ويسعف ويلاحظ بالانتظام
وامر قيام هذه المدرسة وثباتها الى الدهر حسبما يوفقه الرب بقدرته الضابطة الكل وبالاجمال التلاميذ والمتوكلون عليهم وعلى ارزاق المدرسة
المذكورة فليكونوا جميعهم خاضعين لحكم السيد البطريرك الكاثوليكي بوقته من غير واسطة ولا نسمح للسيد البطريرك ولا لغيره ان كان من عيلتنا او
غيرها من اي مقام ووظيفة كان من العالميين او الروسا ان ينقل مدخول هذه المدرسة الى مكان آخر او ينقص منها شيئاً ولو ما كان يسيراً
ويضيفه الى موضع آخر دير كان او غيره من اي نوع كان من انواع الخير والاحسان فلا نسمح قط بذلك بل فليكن سائر مدخول هذه المدرسة
لها وفيها للنمو وبواسطة هذا النمو يكثر عدد التلاميذ المتعلمين بها ويحصل اكثر افادة للطايفة ∴
رابعاً فليقام دائماً وكيل على ارزاق المدرسة المذكورة ويبقى بيده تسليم صرفها ودخلها ودوم [illegible]
ان تكون له الكفاية لهذه الوكالة والتسليم المذكور والامر في هذا راجع الى السيد البطريرك الكاثوليكي بوقته وهو الذي يقيم بسلطانه الوكيل
المذكور من يراه كفواً لعمار المدرسة لان المقصود منا ومن عيلتنا قيام هذه المدرسة لا خرابها وعطلها ∴
خامساً ان تعطل احد الرجال من عيلتنا بنوع انه لا يعود يمكنه ان يحصل معاشه الضروري لا بشغل فاعل ولا بمباشرة كار من الكارات الا
بطلب صدقة فلتلتزم حينئذ المدرسة المذكورة ان تلفيه وتقوم باوده وتستر نفسه وحاله ∴
سادساً تدبير التلاميذ في تعليمهم العلوم وتثقيف سيرتهم يختص بمدبر المدرسة وهذا المدبر يجب ان يكون غير وكيل الرزق الذي ذكرنا والجبانة
وانواع تسليمه في تعدد كتابوته وليس لوكيل الرزق ان يعارض مدبر المدرسة والمدرسين فيما يخصهم انما لهما وعليهما ان يسعفا
بعضهما بعضاً بمحبة خالصة واتفاق قلب [illegible] على قيام المدرسة ونموها من غير كلل ولا اهمال او انقسام او معارضة وقد يختص بالمدبر ترتيب
العلوم وانتخاب المعلمين وتهذيب التلاميذ بسيرتهم وعلومهم وضبطهم الكلي الكامل في عبورهم وخروجهم واكلهم وشربهم وكسوتهم ونومهم
وقومهم واستراحتهم وصلواتهم ورفع كل مانع يمنعهم عن دروسهم وعباداتهم من قبل ترددهم الى [illegible] ولو كانوا اهلهم واقاربهم او من بعضهم لبعض حتى
[illegible] وكل امر تقبل
ومن تسميتهم ايضاً ومن انواع [illegible] كان ولذلك فامنا اصحاب الوظايف [illegible]
ومهم لا يفعله الوكيل والمدبر المذكوران الا بعد مشورة السيد البطريرك الكاثوليكي بوقته وبرضاه وفي كل سنة يلتزمان ان يحضرا امامه ويعطياه
حساب وكالتهما كل واحد منهما عما يخصه فالوكيل عن المدخول والمصروف والمدبر عن تدبير الاولاد ونجاحهم وان وجد احدهما متهاملاً او
مسرفاً بالرزق اي برزق المدرسة او غير كافٍ لقيام وظيفته فبعد النصح الواجب مرة واثنتين وثلاث فليرفعه ان لم يصطلح ويقيم غيره
يكون مناسباً بالنوع المشروح والمدبر يجب ان يكون متصفاً بالعلم والمعرفة والفطنة الحاذقة والسياسة الصالحة والتقوى والعبادة الصحيحة
وقد يجوز ان يكون الوكيل والمدبر من عيلة كانت واما ابناء عيلتنا فلهم التقدم بهذين الوظيفتين على غيرهم مع وجود مساواة الاستحقاق
والمناسبة مع غيرهم حسب الطرايق الكنايسية والحقوق القانونية ان كان الشخص كاهناً بتولاً او اسقفاً او كان راهباً او علمانياً في غير
[illegible] اذا اراد احد من عيلتنا ان يزهد في العالم ويخدم في الموضع المذكور حافظاً عفته فان استقام
عاميا [illegible] فلا يمنع من ذلك بشرط انه يلبس ثوب الكهنة العوام ان يسيم كاهناً ويستقيم تحت طاعة المدبر لان ذلك يعيب
[illegible] اللازم ولم يوجد بهذا ضد لقيام الخير المذكور وان ما سلك بطاعة المدبر ولم يكن للمدرسة بخدمته نفع
فليطرد ∴ [illegible] ان يكون من كل رعية ان كان يتعلمان
ثامناً لا يقبل تلميذ في هذه المدرسة الا بامر السيد البطريرك الكاثوليكي بوقته اما انتخاب التلاميذ فيجب ان يكون من كل رعية ان كان يتعلمان
للسيد البطريرك فان وجدهما مناسبين يامر بدخولهما في المدرسة وان كانا غير مناسبين يامر بتقديم غيرهما والتلاميذ الذين يكملون علومهم
فيبقوا ايضاً تحت تصرف البطريرك ليوزعهم على كرسيه حسب احتياجاتها الضرورية وكذلك رسامتهم في الدرجات المقدسة
وكل [illegible] هو متعلق فيه دون غيره [illegible] مدرستنا كروماني لان ندر الجميع وطلبهم معناه واحد وغايته
واحدة فيجب ان راسهم وولي امرهم بالجملة واحد ايضاً الذي هو السيد البطريرك الكاثوليكي بوقته ∴
تاسعاً لا نسمح ولا نرضى بان احد الروسا الكنايسيين ولو كان السيد البطريرك الكاثوليكي بوقته او احد الحكام العالميين المسيحيين
او احد من [illegible]

او احد من بني عيلتنا ان يغير او يانع او يبطل او يحول الى غير معنى نيتنا هذه ووقفنا هذا الى قيام المدرسة المذكورة ولا ان يغير او

بيلد شيانه كقوانين وكفرايض المحرم في كتاب خصوصي مسجل بختمنا وخطنا بل نطلب من جميع متوسلين اليهم بمحبة سيدنا يسوع

المسيح اي الى خلفانا البطاركة الانطاكيين ومطارنة الرعايا الحافظين بوقتهم والى حقنا ولنا موسيو عندو [illegible] الخوري [illegible]

على مدينة بيروت وكلى كرسي والى حضرة اولاد نا المشايخ الخوازنة والحبيشيه والدحادحه المحترمين وكل مشايخ طايفتنا المارونيين

واعيانها المكرمين كما هي الان وحين يتخلفوهم من بعدهم بانهم يسعفوا ويايدوا قيام هذا الخير في بلادهم جيل بعد جيل ان كان بنظرهم او

باحسانهم او بمحاماتهم المتصله وبرفع الانقاص والاكلاف عن هذه المدرسه او بكل ما يكنهم من السعي الحميد ونطلب من جميعهم ان يمنحوا بخطوطهم

ثم ختومهم محبتنا هذه بنوع الاشهاد علينا ودلالة وبيانا على رضاهم بقيام الخير المذكور وقبولهم المحاماة عنه والاسعاف له

لاجل مجد الله الاعظم الذي اقامهم روسا على بني بيته وشعبه المومن ليسعوا بكل جهدهم وجدهم على قيام شان المشتهى [illegible]

جرى ذلك في دير سيدة بكركه تحريرا في اليوم الرابع عشر من شهر كانون الثاني الذي هو من شهور سنه

والاكرام الاذهار الصالحين امين

الف وسبعمايه وتسعه وثمانين مسيحيه صح صح صح

قد ارتضينا وقبلنا على انفسنا محرره وقابلنه بحرفه الروسا

ما هو محرر في باطن هذه الحجة

يوسف بطرس اسطفان بطريرك

انطاكيه وسائر المشرق

الحقير بولس

اسطفان مطران

جبيل والبترون

كاتبه

الخوري

[illegible]

اسطفان

اننا اشهد بصحة حجة [illegible] [illegible] لكامل للغاية قبلناها وارتضيناها وثبتناها

بكلما فيها بوضع اسامينا وختومنا كما ادناه صح

[illegible] ميخايل فاضل

[illegible]

[illegible]

ميخايل الخازن

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحقير بطرس

مبارك مطران

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحقير يوسف

[illegible] مطران

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

خوري [illegible]

رئيس دير [illegible]

الحقير [illegible]

[illegible] جبرايل

صح اننا قد قبلنا الوقفيه المعينه بهذه الحجه لاجل خير طايفتنا بالنوع المشروح فيها ظاهرا وباطنا وقول ثابت واقرار

بقبتي قدام انه يا اننا لا نخالف عن الموضع المذكور حيثما يمكننا متعهدين لنفسنا نتقدم الاسعاف لكمال هذا الخير

ونجاحه

قايله
عبدو ور
مصادقين

قد قبلنا هذه الوقفيه بخاطرنا وتمام رضانا لاجل مجد الله وخير طايفتنا المارونيه ونسعف في كمال هذا الخير ونجاحه صح

قابله
انطون
صابر

قابله
اسعد
تجار

قابله
سمعان
تجار

قابله
الخازن

قابله
لويس
الخازن

نشهد
الخازن

قابله
موسى
تجار

قابله
الخازن

قابله غالب
تجار

قابله
تجار

قابله
الخازن

قابله
تجار

قد قبلنا هذه الوقفيه بخاطرنا وتمام رضانا لاجل مجد الله وخير طايفتنا المارونيه ونسعف في كمال هذا الخير ونجاحه صح

قابله صالح
قابله الخوري

قد قبلنا هذه الوقفيه بخاطرنا وتمام رضانا لاجل مجد الله وخير طايفتنا المارونيه ونسعف في كمال هذا الخير ونجاحه صح

قابله
صالح

الندوة الثانية

(الاحد ١٩٨٥/١٢/٢٢)

١ - كلمة مدير الندوة الدكتور جوزيف ابو نهرا

"وفي الليلة الظلماء يُفْتَقد البدْر".

تشاء المصادفات ان نحتفي اليوم بالذكرى المئوية الثانية لاستعادة البطريرك يوسف اسطفان صلاحياته البطريركية، ونحن على ما نحن من التشرذم والتفكك، فنستلهم من صموده بوجه الاخطار مثل القائد الرائد، ونستمد من تشبثه باستقلالية القرار عبرة تنير لنا طريق الخلاص، في ليل ادلهمّ ظلامه، وتأخر انبلاج فجره، وفي مجتمع تنازعته الانقسامات، فتعرّض للمداخلات الخارجية، وارتُهنت فيه القرارات المصيرية.

البطريرك يوسف اسطفان ابن "غوسطا العلية" ومفخرة لبنان، هو علامة مميّزة في تاريخ الطائفة المارونية. فهم المسؤوليات البطريركية امانة ورسالة. ائتمن على امجاد اسلافه البطاركة العظام فما ناء بالحمل، وما وهنت يمينه في رفع مشعل العلم والفضيلة، الى جانب سيف الحق يشرعه بوجه كل طامع وغاصب.

نشأ في بيت عبق برائحة الفضيلة والتقوى. هو ابن الخوري جرجس اسطفان الذي كان اباً لخمسة اولاد كرّسوا جميعهم انفسهم للكهنوت. وعمّه هو المطران يوحنا اسطفان رئيس مدرسة عين ورقة ومطران بيروت آنذاك. ظهر النبوغ في يوسف اسطفان منذ نعومة اظافره، فتخطى حواجز التقليد واختصر المسافات ليرتقي بسرعة اعلى المراتب، ويفرض نفسه بذكائه الخارق وقوة شخصيته الفذّة. أُرسل الى روما في العاشرة من عمره، وعاد الى لبنان حيث سيم كاهنا في الثالثة والعشرين، ثمّ مطرانا على ابرشية بيروت في الخامسة والعشرين، وانتخب بطريركاً في السابعة والثلاثين، على اثر وفاة سلفه البطريرك طوبيا الخازن سنة ١٧٦٦.

تسلّم البطريرك يوسف اسطفان السلطة في ظروف صعبة، عرفت فيها البلاد تحولات اساسية مهمة، فكانت عرضة لصراعات سياسية بين اصحاب النفوذ، انعكست آثارها السلبية على الشعب. كما كان للكنيسة المارونية في القرن الثامن عشر وثبة جديدة، على اثر تزايد انتشار العلم بين رجال الاكليروس، وتأسيس الرهبانيات القانونية. لكن هذه الوثبة لم تخلُ من الهفوات، ولم تسلم من الانقسامات، مما ادّى الى تدخل روما اكثر من مرة لرأب الصدع، واعادة اللحمة بين ابناء الطائفة الواحدة.

من وحي محاضرات المنتدين حول شخصية البطريرك يوسف اسطفان، وآثاره، واسباب تنحيته، وعودة روما عن قرار التنحية، نتوقف اليوم عند هذه الذكرى، مسلطين الاضواء على نقاط خمس، لعلّها تساعد على فهم الخلفيات التي رافقت تنحية البطريرك يوسف اسطفان، وتمكننا من تركيز الموضوع في اطاره التاريخي الصحيح:

اولاً: في القرنين السابع عشر والثامن عشر، نزح العديد من موارنة الشمال الى وسط جبل لبنان والى جنوبه، على اثر تشجيع المعنيين لهم، وخاصة في عهد الامير فخر الدين الثاني، وبسبب تمادي الحماديين حكّام الشمال في الاستبداد. ادّى هذا النزوح الذي رافقه تزايد سكّاني ملحوظ، الى جعل مراكز الثقل الماروني تنتقل من الشمال الى كسروان بحماية وزعامة مشايخ آل الخازن. ولم يبرز دور الخازنيين كزعماء سياسيين داعمين للسلطة الدينية فحسب، بل ايضا كقادة روحيين، اذ كانوا من اوائل الكسروانيين الذين تبوأوا السّدة البطريركية.

تعاقب على الكرسي البطريركي، في القرن السابع عشر، سبعة بطاركة، بينهم خمسة من الشمال، وواحد من العاقورة، وواحد من فتوح كسروان هو يوحنا الصفراوي (١٦٤٨- ١٦٥٦).

بينما في القرن الثامن عشر تعاقب على الكرسي نفسه تسعة بطاركة، بينهم ثلاثة فقط من الشمال (البلوزاني، ويعقوب عواد، وسمعان عواد)، وثلاثة من كسروان (يوسف ضرغام الخازن، وطوبيا الخازن، ويوسف اسطفان)، واثنان من بيروت (مخايل فاضل، ويوسف التيان)، وواحد من المتن (فيلبس الجميل).

ثانياً: صعود نجم الاكليروس الماروني وبروز البطريرك كزعيم سياسي الى جانب سلطته الروحية، خاصة بعد زوال سلطة المقدمين في الشمال، وتغيّر موازين القوى الاقتصادية والاجتماعية في البلاد. كما جاءت قوانين المجمع اللبناني لتزيد من نفوذ البطريرك والاساقفة، وتعطيهم صلاحيات واسعة في الاشراف على التوجيه الديني والفكري للطائفة، اذ جاء في مقررات هذا المجمع ما يلي: "لا يطبع احد او ينشر بالخط كتابا او رسالة في اي فن او معنى، نظماً كان او نثراً، او تاريخاً او ما سوى ذلك، باية طريقة او لغة وضع، ما لم يعرض اولاً على النقدة الذين ينصبهم السيد البطريرك السامي الاحترام والاساقفة في كل من ابرشياتهم. . . ".

من الطبيعي، مع تزايد سلطة البطريرك الزمنية واقامته في منطقة نفوذ آل الخازن، ان يحصل تشابك في الصلاحيات والمصالح يؤدي احيانا الى انقسامات بين الاكليروس والمؤمنين على السواء.

ومن مظاهر الصراع بين السلطة الزمنية المتمثلة بالامير الحاكم يوسف شهاب، وبين السلطة الدينية المتمثلة بالنائب البطريركي المطران ميخائيل الخازن، اثناء فترة تنحية البطريرك يوسف اسطفان، ما جاء في رسالة الشيخ سعد الخوري، كاخية الامير يوسف، الى المطران الخازن، يحذره فيها من عواقب معارضة الاكليروس الماروني لسلطة الامير الحاكم؛ وقد جاء في الرسالة قوله: "اي من خالف من الطايفة سعادته بيكسر راسه".

ثالثاً: بدأت سلطة المقاطعجيين بالتراجع في القرن الثامن عشر، وخاصة بعد معركة عين داره (١٧١١)، حيث فقدت العائلات التي كانت تنتمي الى الحزب اليمني مقاطعاتها، وقامت مكانها عائلات جديدة افتقد بعضها الى العلم، فلجأ الى رجال الاكليروس المثقفين يستمد منهم الدعم. ونشأ توازن جديد بين رجال السياسة ورجال الدين، اصبح وضع الاكليروس فيه اكثر تكافؤاً، خاصة بعد نشأة الرهبانيات القانونية، وتوسع املاكها، وتكاثر عدد الشركاء العاملين فيها. استفاد الاكليروس الماروني من انحسار نفوذ المقاطعجيين ليملأ الفراغ الحاصل بما له من سلطة دينية وتأثير زمني.

رابعاً: بروز الرهبانيات على المسرح الديني، وتعاظم اهميتها الاقتصادية والاجتماعية، اذ ظهرت كقوة فاعلة تنافس السلطة الدينية

في الطائفة والسلطة السياسية على السواء . ، كانت هذه الرهبانيات قد استفادت في بداية نشأتها من رعاية المقاطعجيين الذين شجعوا المشاريع الاقتصادية التي تقوم بها الكنيسة، الى جانب الخدمات الروحية التي تقدمها للشعب.

انقسمت الرهبانية المارونية في عهد البطريرك يوسف اسطفان الى حلبية وبلدية (١٧٦٨)، فوقف الرهبان الحلبيون الى جانب البطريرك في خلافه مع الاساقفة، بينما وقف الرهبان البلديون الى جانب هؤلاء. ويظهر ان تضارب المصالح والخلاف على النفوذ تحكّما بموقف الرهبان، اذ لو تغلّب المبدأ على المصلحة، لكان مفروضاً ان ينقلب الوضع ويقف الرهبان البلديون الى جانب البطريرك والحلبيون ضده. ولم يشر اي من المؤرخين حتى اليوم الى اسباب هذه المفارقة التي طواها الزمن، فعادت الرهبانية اللبنانية اليوم تشرع بحفاوة ابواب جامعتها لتكريم البطريرك اسطفان، ويحاضر ابناؤها بحماس عن مواقفه الجريئة، مقدرين دوره في الدفاع عن استقلالية القرار.

خامساً: تأثير حركة الليتنة في الطائفة المارونية على يد بعض المرسلين والقصّاد، وقد ازداد هذا التأثير بعد تكاثر عدد خريجي مدرسة روما المارونية. سعى بعض المرسلين الى احتواء السلطة

الكنسية المحلية ، واضعاف الاستقلالية الذاتية للطائفة ، مما خلق وعياً في صفوف المتنورين من ابنائها ، فقام البطريرك اسطفان على رأس المدافعين عن الهوية المشرقية الانطاكية للطائفة المارونية ، واسس المدرسة الاكليريكية في عين ورقة للتركيز على خصائص الذات المارونية ، وتعميم العلم على رجال الاكليروس ، فلا يبقى وقفاً على اقلية تنهل من عاصمة الليتنة وتعود لتتسلم اعلى مراتب السلطات الدينية ، بسبب النقص في المستوى العلمي لاغلبية الاكليروس الذي كان يتلقىّ التهيئة في المدارس المحلية.

والجدير ذكره ان الشيخ غندور السعد شجّع البطريرك اسطفان على تحقيق هذا المشروع لرفع شأن الطائفة فكتب اليه طالباً تدبير مكان تنتقل اليه الراهبات اللواتي كنّ في دير عين ورقة ، بغية تحويله كلياً الى مدرسة اكليريكية ، فقال: "ترى ما هي الفائدة اذا راحوا ثمان راهبات من عين ورقة الى السماء ، وكان اكليروس الطائفة الذي ينوف على ثلاثة آلاف لا يعرفون قراءة الانجيل؟ . . ." .

يمكننا في نهاية هذه الملاحظات ان نستنتج بعض العبر الجديرة بالاهتمام ، فنتوقف عند اثنتين منها:

العبرة الاولى: كانت العصبية المارونية في القرن الثامن عشر

اقوى من الانانيات الشخصية والمصالح العائلية. فالشيخ سعد الخوري الذي دعم اولاً اخصام البطريرك اسطفان، وكان له دور فاعل في اقصائه عن كرسيه بسبب مصالح سياسية واقتصادية، عاد ووقف الى جانبه عندما ادرك ان كرامة الطائفة هي المهددة بشخص البطريرك، فكتب الى المجمع المقدس والى السلطات الفاتيكانية الاخرى خمس رسائل يطلب فيها اعادة البطريرك يوسف اسطفان الى كرسيه، واشار ايضاً الى جميع اعيان الطائفة ان يكتبوا الى روما بهذا الخصوص. وكذلك كان موقف مشايخ آل الخازن الذين كانت بينهم وبين آل اسطفان حساسيات محلية، وتنافس على الزعامة، فحاولوا منع البطريرك يوسف اسطفان، يوم كان مطراناً على بيروت، من بناء دير مار يوسف الحصن في غوسطا، لانه يطل على حارتهم، فكانوا يرمون الاخشاب والحجارة المعدّة للبناء بغية ثنيه، دون جدوى، عن متابعة المشروع. لكن الخوازنة عادوا ووقفوا ضد نسيبهم المطران ميخائيل الخازن الذي عينته روما نائباً بطريركياً، لانهم لم يجدوا فيه الكفاءة لتولي هذا المنصب الرفيع. ودافعوا عن البطريرك يوسف اسطفان، طالبين من روما انهاء محنة الطائفة واعادته الى سلطته البطريركية، بعدما وجدوا ان المصلحة المارونية تقضي بذلك، ولو على حساب مصلحتهم العائلية.

العبرة الثانية: كان تدخل روما المباشر بشؤون البطريركية

المارونية يجري نتيجة خلل داخلي، وبسبب خلافات تحدث بين احبار الطائفة انفسهم. فعندما كان الانسجام والوئام سائدين، كانت وحدة الصف تشكل درعاً واقية لاي انتقاص من استقلالية القرار، التي طالما دافع عنها البطريرك يوسف اسطفان.

– سنة ١٧١٠ تدخلت روما لاعادة البطريرك يعقوب عواد الى كرسيه، لان مجمع المطارنة كان قد اقاله وانتخب مكانه المطران يوسف مبارك. اعلن البابا ان قرار الاساقفة هو باطل، وامر بعودة البطريرك يعقوب عواد الى كرسيه سنة ١٧١٤.

– سنة ١٧٤٢ عادت وتدخلت روما على اثر خلاف جديد نشأ عند وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن، بعد ان انتخب مجمع الاساقفة المطران سمعان عواد بطريركاً، فرفض هذا المقام البطريركي زهداً وتعففاً. انقسم الاساقفة عند ذلك فئتين: فئة انتخبت المطران الياس محاسب بطريركاً، وفئة اخرى نصّبت المطران طوبيا الخازن بطريركاً ايضا. واضطرت روما للتدخل ورأب الصدع، فأبطلت الانتخابين، وعيّنت المطران سمعان عواد على الكرسي البطريركي.

– وفي عهد صاحب الذكرى البطريرك يوسف اسطفان، جرى تدخل روما بعد جملة شكاوى رفعها السادة الاساقفة ضده، فأمرت روما بتنحيته، ثم توصلت الى حقيقة الوضع فعاد الحق الى نصابه، والبطريرك الى سلطته.

لا تكمن مناعة الطائفة المارونية، لا بل مناعة المسيحيين في الشرق، في الاعتماد على مراكز القرار في روما او غيرها فحسب، بل خاصة في وحدة المسيحيين، ووعيهم لتراثهم الغني وتاريخهم المجيد والاصيل، في هذه البقعة من العالم، التي كانت مهداً للديانات الموحِّدة الثلاث، وارضاً للتجسّد والفداء.

اما بعد، فبإمكان حبرنا الجليل البطريرك يوسف اسطفان ان يرقد قرير العين بعد ان ربح دعواه مرتين: مرّة اولى بحكم صادر عن الحبر الاعظم في الفاتيكان سنة ١٧٨٥، بعد خمس سنوات من قرار التنحية، ومرّة ثانية اليوم، بعد مئتي سنة على قرار الفاتيكان، بحكم صادر عن المتنادين لذكراه من على منبر جامعة الروح القدس، الكسليك. ومن معاني هذه الذكرى انه، اذا كان الحق الشخصي في القانون يموت مع مرور الزمن، فكرامة البطريرك اسطفان هي بمثابة حق لبناني عام، عجزت مئتان من السنين عن محوه، وأبى حكم التاريخ ان يسدل عليه ستار الاهمال والنسيان، فأصدر قراره في انصافه.

دافع البطريرك اسطفان الذي ننصفه اليوم، بعناد عن استقلالية قرار السلطة في الطائفة المارونية وعمل جاهداً طوال حياته في اعلاء شأنها، واغنائها فكرياً، وطقسياً، وفي التركيز على

ذاتيتها مع انفتاحها الذي هو من خصائص المسيحية الحقة .

ونحن نستلهم من سيرته النيرة ومن فضائله الكريمة عبرة الذكرى في هذا الزمن الرديء ، فنعتمد على قوتنا الذاتية ، وعلى مناعة صفنا الداخلي ، اذ تحول هذه المناعة دون المداخلات الخارجية من اية جهة اتت ، فلا يبقى انساننا معلقاً ابداً على صليب المعاناة .

لقد آن الاوان لندحرج عنّا حجر التفرقة والتناحر الطائفي ، ونعيش اصالتنا المسيحية المنفتحة على جميع اللبنانيين ، بغضّ النظر عن انتمائهم الديني ، فينعم لبنان بقيامة المحبة والخلاص .

٢- البطريرك اسطفان وسنوات التنحية وما رافقها من احداث وتطورات

الاب اغناطيوس سعاده

١- التوقيف عن الصلاحيات والاقامة في جبل الكرمل

تبلّغ البطريرك يوسف اسطفان، في ١٥ تشرين الثاني ١٧٧٩، اوامر البابا بيوس السادس الصادرة في ١٧ تموز من السنة عينها، التي جاء في المرسوم الثالث منها: "يؤمَر الاب السيد الكلي الاحترام بطريرك الموارنة يوسف بطرس اسطفان بالحضور حالاً الى رومية ليردّ جواباً عن البعض من افعاله، وذلك تحت طائلة عقاب السقوط بالحرم حالاً ان اعتاق عن الحضور. وكل التجا ممنوع ad reddendam rationem de nonnulis suis gestis sub paena excommunicationis latae sententiae in casu morae, omnique prorsus appellationem remota. وفي يوم اشهار هذا المرسوم الحاضر، فليكن ممنوعاً، كما انه [اي البابا] منعه عن كل تولٍ بطريركي او اسقفي على خاطر قدسه، انما له التصرف في درجة القسوسية فقط. وهذا المنع كما مرّ يحصل على قوّته ولو ان السيد

البطريرك نفسه لاجل مرض او مانع ما من الموانع لا يمكنه الحضور الى رومية" (١).

كما تقضي هذه الاوامر بتعيين المطران ميخائيل حرب الخازن وكيلاً او نائباً بطريركياً، يدبّر شؤون الطائفة في غيابه؛ "اما ان كان السيد المذكور لا يقبل هذه الوكالة او انه ينزل عنها لاجل اي سبب وزمان كان، فالمجمع المقدس يريد ويقصد ان يتخلف حالاً مكانه الاب السيد المحترم مخايل فاضل مطران بيروت بكل التولي البطريركي" (٢).

خضع البطريرك لمضمون هذه البراءة التي وضع عليها الاب الاقدس "كل قوة سلطانه" "omne auctoritatis nostrae pondus adjungimus"، وراح يُعدّ العدّة للسفر. ولكنه رفض الاجتماع بالوكيل المعيّن وتسليمه ختمه البطريركي، مبرراً ذلك برسالة بعث بها فيما بعد من جبل الكرمل، بتاريخ ٢ نيسان ١٧٨٢، الى رئيس المجمع المقدس، حيث يقول: "كيف اسلّم الى النايب ختمي المنقوش عليه اسمي؟ الا يمكن خصومي ان يطبعوا به ما يعود عليّ بالضرر؟ ولكن ما هم

١) راجع نص البراءة، باللغتين اللاتينية والعربية، في مكتبة المرسلين اللبنانيين، بين مخلفات الاب ابراهيم حرفوش.
٢) المرجع نفسه.

خصومي هؤلاء ان يكون في يدهم خاتمي وعندهم منه صورة نقشوها هم بطريقة سرّية قصد الاضرار بي، وقد ثبت عندي ذلك برسائل كتبت باسمي الى رومية حاوية اشياء لم تخالج فكري ووهمي، ولا غاية لهم في ذلك إلا إهلاكي؟" (١).

غادر مقرّه في دير مار يوسف الحصن في غوسطا، في ٧ آذار سنة ١٧٨٠، الى بيروت، حاملاً معه وقاره وامراضه وهمومه، ومنها توجّه الى صيدا، فحيفا، بعد ان قطع بطاقة السفر الى روما. غير ان القبطان رفض تسفيره على مركبه خوفاً من ان يموت بين يديه في البحر، وذلك بعد ان اشرف على فحصه ثلاثة اطباء منعوه، بالرغم من اصراره، من مواصلة السفر. فاختار حينئذ، من تلقاء نفسه، دير مار الياس في جبل الكرمل، وانتقل اليه من حيفا، راكباً بغلة يمسك بها اربعة رجال. بلغ الكرمل في ٩ حزيران، وحلّ ضيفاً على الآباء الكرمليين. ومن هناك اوفد الى روما اربعة من مرافقيه الكهنة: جرجس ادّه، وتوما سركيس، ويوسف نجيم، ويوحنا الحلو (البطريرك فيما بعد)، مزوّداً اياهم بالرسائل الى البابا والمجمع المقدس، مرفقة بتقارير الاطباء؛ وفي ذلك ردّ على الذين اتهموه

---

١) راجع النص الكامل للرسالة: القس بولس عبّود، **بصائر الزمان**، بيروت ١٩١٠، ص ١٤٤.

بالتهرّب من السفر . أما المطران الخازن والقاصد الرسولي دي موريتا وعدد من المطارنة ، فراحوا يوجّهون اليه الانذارات بوجوب مواصلة السفر في مهلة قصيرة تحت طائلة ايقاع الحرم عليه وتشهيره ، فيما كتب مشايخ آل الخازن الى الملك لويس السادس عشر طالبين تدخّله لدى الكرسي الرسولي ، قائلين "ولا تدَعوا ينداس راسنا وبطركنا بهل المقدار وتتلاشى الطائفة" (١).

أما روما ، فبعد ان اقتنعت بحقيقة مرضه ، سكتت عن بقائه في الكرمل . وبدأت رحلة السنوات الخمس ، وكأنها مراحل درب صليب شاق سار عليه البطريرك ووراءه الطائفة في أقسى محنة من تاريخهما .

بعد وصوله الى دير الكرمل بأربعين يوماً ، أي في ٢١ تموز ، دعا دي موريتا والوكيل البطريركي المطارنة الى عقد مجمع في ميفوق ، مستنجدين بالامير يوسف شهاب ، المتنصّر حديثاً ، الذي أصدر أمره الى جميع المطارنة بوجوب التوجّه فوراً الى ميفوق: "وإيّاكم احد منكم يخل او يخطر في باله المعارضة ، يكون منفي من

---

١) النص الاصلي لهذه الرسالة محفوظ في ارشيف بكركي؛ راجع عبّود ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .

خاطرنا، ويجري عليه قصاص بالغ . . . وكل من اعترضه لومه على نفسه″ (١). وبالرغم من هذا الامر العسكري الصارم، فقد تخلّف عن الحضور ثلاث مطارنة من اصل ثمانية. وصلت اعمال هذا المجمع الى البطريرك في منفاه الاختياري، فردّ عليها في ١٠ ايلول، مفنداً اياها في ٤٧ بنداً، واصفاً اياه بـ ″المجيمع″، لانه لم يلتئم بكامل اعضائه، بالرغم من عقده بقوة الذراع المدني لحاكم سلطوي متشدد (٢).

اثناء اقامته في جبل الكرمل، وفي وسط همومه وانشغاله بقضيته، لم يتوقف قلم البطريرك عن التآليف الدينية التي أغنى الكنيسة بها خلال اسقفيته وبطريركيته؛ فوضع هناك ″رتبة منح البركة بأيقونة ثوب السيدة وزيّاحها السنوي الواقع في ١٦ تموز″ (٣)، متأثراً بروحانية الكرمليين الذين استضافوه، المشرفين على نشر هذه العبادة.

---

١) النص الكامل في مكتبة المرسلين اللبنانيين؛ راجع عبود، **الاصول المحجوبة**، الجزء الثاني، بيروت ١٩٠٩، ص ٣٩٦.

٢) النص الكامل لتفنيد البطريرك لهذا المجمع في: عبود، **بصائر الزمان**، ص ٨٨-١١٤؛ راجع نص اعمال المجمع في: الاب فيليب السمراني، ″النائب البطريركي مخايل الخازن ومجمع ميفوق سنة ١٧٨٠″، في **المنارة**، ١٩٨٣، ص ١٢٧-١٤٦.

٣) نبذة في حياة البطرك يوسف اسطفان الخامس الغوسطاوي، مخطوطة في مكتبة المرسلين اللبنانيين، مجهولة المؤلف والتاريخ.

ضاعف خصومه حملاتهم العنيفة عليه، وقد علّلوا النفس بأنه ذهب ولن يعود، فيما ضاعف هو مساعيه، واثقاً من براءته ومن عودته، ولو طال أمدها. ففي رسالته الى الكردينال رئيس المجمع، بتاريخ ٢ نيسان سنة ١٧٨٢، يقول بغصّة خانقة: "فأنا الذي أصبح هدفاً للاضطهاد، ولا يبالي بحالي هذا المجمع المقدس، نقضاً للصواب والناموس والحق الطبيعي، فأراني مكرَهاً الى ان الجئ الى مجلس الله الاسمى حيث اهتف طالباً الانتقام والترضية ممن حبسوا عني كل ترضية... ففي اي مجلس يُسمَع للمدّعي ولا يُسمَع للمدّعى عليه...؟" (١).

وفي ٣٠ ايار من السنة عينها، كتب رسالة جوابية الى الشيخ ابي فارس سعد الخوري، فيها كل عصارة تألمه مما قذفه به خصومه من التهم الشنيعة:

"... فأشعلت نيران في قلبنا، وجرحت فؤادنا جرح لا يشفى على زود الكذب والدجل المحتوى فيها بحقنا... فكان حلو عندي المنفى وترك كل شيء، لكن تهم مثل هذه لا تنحمل ولا تطاق... انا ليس عندي تعليم ولا سلكت بعون الله تعالى إلا بتعليم الكنيسة المقدسة الرومانية، واني اقبل كلما تقبله، وألعن كلما تلعنه، وابارك كلما تباركه؛ هذا اقراري

---

١) عبود، المرجع السابق، ص ١٤٤.

واعتقادي من صغري الى الآن والى الموت . . . صارت عندنا الدنيا بأسرها بمنزلة زبل بعد هذه الاخبار التي عمّال تتشيّع بحقنا من اصحاب الغش والانخداع ، وتتسجّل بشهادات وختوم اهل الاكليروس . . . فلا بد ما نواقفهم [اي نواجههم] ونكشف زورهم علينا بها ، ولا يمكننا السكوت بهذه المادة ، لاننا كنا راضين النفي والضيق والفقر والعري والجوع في غربة مقفرة ولا نشوف احد من ملّتنا ، ونحن مبتلين بالاوجاع والامراض المختلفة . ولكن تهم مثل هذه لا نستطيع ان نحملها ونتصبّر عليها ونحن احياء بما ان الموت أستر . وسابقاً كنا نسمع طروش [اشاعات] اخبار عن هذه المادة ، ولكن ما كنا نظن كل هيك . انه شيء يرجف الابدان ويقشعر شعر الرؤوس . . . بقينا ملتزمين ان نحضر للبلاد ولو كنا كسحاء ومخلعين لاجل تبرير حالنا وطفي هذه الدعاوي عنا . ومحقق عندنا انه يسرّكم وترغبوا اننا نطلع بريّين ، وتتخلص الطائفة من هذا العار ، ونحن نستر عِرضنا ، لان هذا الشيء لا احد يطيق سماعه . . . " (١) .

٢- العودة الى لبنان:

هذا الاصرار الشديد على البراءة ، الصادر عن قلب برّح به

---

١) النص الاصلي لهذه الرسالة بخط يد البطريرك وختمه محفوظ في مكتبة المرسلين اللبنانيين ، وقد نقلها عبّود ، المرجع السابق ، ص ١٤٨-١٥٢ .

الالم والبعاد والعزلة "في غربة مقفرة ولا نشوف احد من ملّتنا"، والتصميم على العودة الى البلاد "ولو كسيحاً مخلعاً"، "ليواقف" خصومه المتجنّين عليه "ويكشف زورهم وكذبهم ودجلهم بحقّه"، حمل البطريرك الوقور والمريض على ان يضع حداً لمنفاه الطوعي، بعد شهر ونصف الشهر على ارسال هذا التحرير، ويغادر نهائياً جبل الكرمل، في اواسط حزيران – بعد ان اقام فيه سنتين كاملتين – عائداً الى لبنان. وفي طريق عودته، في عكا، سأله الشيخ يونس ابو عسكر، مستشار احمد باشا الجزّار، عن سبب رجوعه، اجاب: "انني ذاهب لابرّي نفسي، لان الرسائل التي أتتني من الشيخ سعد الخوري كادت تفقدني الرشد. وهو لا يقتنع بالكتابة ولا يثق باليمين، وأبى أن يعفو عني. فالتزمت ان أحضر، او أتبرّأ او أُقتَل، لاني كرهت الحياة. فان برأني رجعت مستريحاً وان قتلني استرحت ايضاً... واستراح ساداتنا" (١).

ولدى وصوله الى بساتين صيدا في ٢٤ حزيران، سلّمه رئيس الكبوشيين البريد الوارد اليه من المجمع المقدس، وهو يحمل تاريخ ٢٩ ايلول ١٧٨١ – اي متأخراً ٩ اشهر –، وفيه "صورة الاقرار والارعواء"، حتى يوقعها البطريرك ويعيدها الى روما. وهذه

---

١) النص الكامل في: عبّود، المرجع السابق، ص ١٥٣.

بعض مقاطع منها: ″انا المدوّن اسمي ادناه . . . أقرّ معترفاً بخطأي السابق واعتقادي الباطل لاوهام وقداسة هنديّة الكاذبة . . . ولذلك اني اقبل مذعناً حكم مجمع نشر الايمان المقدس . . . وأقرّ بأن المرأة المذكورة مغرورة غروراً بيناً وخبيثاً . . . لذلك فاني ألغي وانقض كل ما صدر مني . . . واني كابن مطيع اقبل من ذات نفسي ان استمرّ مقيداً بقصاص المنع المحدث عنه ، ريثما ترتاح قداسته [اي البابا] الى ان تحلّني وتطلقني منه . وأطيع جميع احكام مجمع نشر الايمان المقدس . . . وهذا اقراري وارعوائي وقبولي ووعدي بموجب الصورة المشروحة أعلاه ، فاني اثبته واذيّله بقسمي وامضائي وختمي″ (١) .

كتب ثلاث نسخ من ″صورة الاقرار والارعواء″ هذه ، التي فيها الكثير من الاذلال في مخاطبة بطريرك ، منها نسختان لخّصهما تلخيصاً ولم ينقلهما بالحرف الواحد ، واعادها الى روما ، مع الاشارة الى ان النائب البطريركي لم يعطه جزءاً مما يحق له لقوته الضروري ، مما اوقعه في فاقة شديدة ، فاضطر للعودة الى لبنان سداً لحاجاته وكشفاً لكذب المفترين عليه . فكان هذا التلخيص لصيغة الاقرار والارعواء ، بدلاً من نسخها حرفياً ، سبباً لتأخير استعادة كرسيه ثلاث سنوات اخرى . اما هو فسوّغ التلخيص بانه لم يطّلع على رسالة الكردينال التي تحظّر عليه اي تغيير بالنص .

---

١) الصورة الكاملة للاقرار والارعواء فى: عبود ، المرجع السابق ، ص ١٥٣–١٥٥ .

من صيدا صعد الى دير القمر لمقابلة الامير يوسف الذي تأثر "لمرآه بطريركاً في هذه الحالة البالغة غاية الشقاء والوهن والسقم"، وليطلب اليه ان ينظر قضائياً في مسألته، مقترحاً عليه ان يسمي لجنة من بطريركي الروم الكاثوليك والارمن الكاثوليك لهذا الغرض. فاستصوب الامير الطلب، وكتب الى الوكيل البطريركي ومشايعيه، الذين ما ان سمعوا بخبر دخول البطريرك الى لبنان حتى تعاظم قلقهم، فاتصلوا بالشيخ سعد الخوري مستفسرين ومحتجين، فأجابهم: "لقد اتهم البطريرك . . . وهو الآن يريد ان يبرّئ نفسه. فقولوا لنا ما الذي يجب ان نجيبه به؟ أنقول له: نعم انك متّهَم ولكن لا تبرئة لك أم نقول له الاولى، ولا بدع، ان تتبرّأ مما اتهمت به. . . ؟ ولكن كل هذا لا يجيز لنا ان نمنع البطريرك من ان يبرء نفسه. . . وتيقنوا ان هذه المسألة هي علينا فوق اشغالنا وهمومنا اثقل من الجبال العالية، ولكن اصبح الرفض بعد مجيء البطريرك شراً كبيراً وضرراً جسيماً. وربما يلومكم المجمع المقدس على معارضتكم اظهار الحق، ولا سيما بعد ان طلب البطريرك ذلك" (١). حينئذ رفع البطريرك امره الى المجمع برسالة احتجاج اودعها من الحجج القانونية والبيّنات العلمية ما يثبت خضوعه التام لاحكام الكرسي الرسولي وتبييض صفحته امام التاريخ، وراح ينتظر ويعمل.

---

١) عبود، المرجع السابق، ص ١٥٨–١٥٩.

٣- مراسلات حول الموضوع:

واشتدّت الحملات من كلا الجانبين: البطريرك يتمسك بحقّه وبراءته، وخصومه يضاعفون المساعي ويناورون، والطائفة كلها في قلق وغليان. وتدخّل السيد تيودوسيوس دهّان، بطريرك الروم الكاثوليك، في رسالة الى المجمع المقدس يقول فيها: "لا سلام ولا راحة للطائفة المارونية الا برجوع بطريركها، لاننا نعلم ان المطران مخايل الخازن لم يكن منذ الصبا حتى الآن كفوءاً بهذه الوظيفة في اشباه هذه الظروف، وشيوخ بيت الخازن انفسهم كتبوا الينا انه، لو كان لنسيبهم المذكور الجدارة المطلوبة، لطابوا نفساً بذلك. ويقولون ان طائفتهم في بلبال عظيم، ويسألون ان نبتهل الى المجمع المقدس بان ينظر الى الطائفة المارونية ويردّ اليها الراحة والسكينة بواسطة رجوع بطريركهم، وان يخلّصهم من هذا الهوان، ولا وسيلة لادراك هذه الغاية اذا لم يعد البطريرك المذكور" (١). وفي ٢٤ ايلول ١٧٨٢، وجّه الكردينال انطونيللي، رئيس المجمع، الى الوكيل البطريركي الخازني رسالة شديدة اللهجة، يقبّح بها سلوكه وتصرّفه في ادارة البطريركية الموكولة اليه، ويوبّخه على طريقة معالجته الامور، ويأمره بأن يقدّم للبطريرك حقه الكامل من الدخل البطريركي، كما رسم البابا في براءته.

---

١) عبّود، المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

وقد عثرنا في مكتبة الكريم للمرسلين اللبنانيين على مخطوط هو "مجموع كتابات الى المطران مخايل حرب الخازن والى غيره من الاساقفة، من المجمع المقدس والامير يوسف وغيرها"، عددها ١٩ رسالة، ستّ منها بنصّيها الايطالي والعربي، واثنتان باللاتيني والعربي، نقلها الاب ابراهيم حرفوش عن اصلها المحفوظ عند ورثة الوكيل البطريركي المذكور (١). هذه الرسائل، باستثناء اثنتين او ثلاث منها، تتعلق بطريقة مباشرة بموضوعنا، وهي وثائق تلقي اضواء كاشفة على هذه الحقبة التي سبقت عودة البطريرك الى ممارسة سلطانه، نذكر منها أهمها :

من المير يوسف الى القاصد الرسولي دي موريتا بأنه سينفّذ كل اوامر رومية بشأن البطريرك والوكيل: "بيلزم الاوامر تمشي على صحتها حرفاً بحرف، وكل من تعارض لا يلوم الا نفسه".

من المير يوسف الى المطارنة لتأييد المطران الخازن: "كلمن خالف ادنا أمر من اوامر المجمع لومه على نفسه... ويندم حيث لا ينفع الندم... والحذر من الخلاف".

---

١) نسخ هذه المجموعة من الرسائل الاب ابراهيم حرفوش سنة ١٩٠١.

من المير يوسف الى المطارنة يأمرهم بالتوجّه الى مجمع ميفوق: "وكل من اعترضه لومه على نفسه".

من المير يوسف حجّة بتمليك دير بكركي من المطران الخازن والمطارنة "ملك دهري ابدي مخلّد للطائفة المارونية. . . الى حينما يركز أمر البطريركية". يليها إعلام منه بأنه ملّك الدير من المطران مخايل "يصرفه حيث شاء واراد من غير معارض".

"مضمون الحجّة التي انظهرت من التلاميذ في دعوى السيد البطريرك على المطران مخايل"، مثّل فيها البطريرك المطران يوحنا الحلو، ومثل المطران الشيخ يوسف الدحداح، وترافعا امام اللجنة المؤلفة من ٨ كهنة من تلاميذ رومية: "فحكمنا بان المطران له التصرّف بربع مدخول الكرسي، والثلاث ارباع ترجع الى خير الطائفة". الامضاءات.

من غندور السعد الى المطران مخايل بخصوص تسليم الدراهم والحوايج الى المطران جرمانوس آدم، متروبوليت حلب للروم الكاثوليك.

من البابا بيوس السادس الى المطارنة، قرار تابع للبراءة التي بموجبها اوقف البطريرك واستدعاه الى روما.

من الكردينال انطونللي رئيس المجمع الى المطران الخازن يعنّفه على سوء تصرّفه "في ادارة البطريركية التي اؤتمنتم عليها". وهي رسالة طويلة سبق الكلام عليها.

من انطونللي الى المطران مخايل بان البابا عيّن دي موريتا مطراناً وقرّر ارساله من جديد الى لبنان، ويطلب اليه "تسهيل مهمّته"؛ ورسالة ثانية منه اليه يبلغه فيها ان الزائر الرسولي الجديد سيعمل على انتخاب مطارنة جدد "ويعالج الاختلافات الاكثر اهمية".

وهناك رسالة من انطونللي الى المطران مخايل الخازن، بتاريخ ٢٣ ت١ ١٧٨٦ (اي بعد عودة البطريرك بثمانية اشهر)، يعلمه فيها ان البطريرك لم يعقد مجمعاً بعد، ولم يعين مطارنة جدداً وانه اذا لم يقم بذلك خلال ستة اشهر "يُحسب للحال متحوّلاً عن كرسيه وواقعاً تحت عقوبة الرباط عن الحبريات بذات الفعل". غير ان الواقع هو ان البطريرك عقد مجمع وطا الجوز بتاريخ ٦-١١ ايلول من تلك السنة، ولم تكن قد وصلت اعماله الى روما عندما كتب انطونللي رسالته هذه الى المطران الخازن.

٤- مهمة الخوري يوسف التيان الشاقة:

وآخر مكان حلّ فيه البطريرك هو جبيل، حيث عقد جملة اجتماعات مع الشيخ سعد الخوري وبعض المطارنة واعيان الطائفة، وظلّوا على اتصال مع الفريق الآخر والكرسي الرسولي. وفي ٤ ت١ سنة ١٧٨٣، عيّن البابا القاصد الرسولي السابق مطراناً وارسله الى الشرق بصفة زائر رسولي - مستبدلاً باسم دي موريتا اسم المطران غرافيري، اسقف انوش، يرافقه الخوري يوسف التيان الذي انهى دروسه في المدرسة المارونية بتفوق وصار بطريركاً فيما بعد. ولكن القاصد الجديد القديم توقف في الاسكندرية في اوائل سنة ١٧٨٤، فيما واصل التيان سفره الى لبنان، حاملاً رسالة من غرافيري الى الامير يوسف، يسأله فيها ان يؤيده بذارعه القوية، كما في السابق، مضيفاً انه لن يدخل لبنان الا اذا تأمنت له الحماية والمصاريف اللازمة، والاّ فعلى الجميع ان يذهبوا الى حيث هو بانتظارهم؛ كما يحمل رسالة من البابا الى الموارنة، وفيها لوم وتوبيخ شديدان على عدم طاعتهم للكرسي الرسولي.

وفور وصوله، توجّه التيّان الى جبيل حيث سلّم الرسائل الى اصحابها بحضور البطريرك اسطفان. فارتفع صوت الشيخ سعد اعتراضاً على الرسالة البابوية، وفكّر بالسفر شخصياً الى روما للدفاع

عن حق البطريرك وعن كرامة الطائفة ، كما رفضوا بالاجماع شروط غرافيري بشأن الحماية والمصاريف وانتظاره اياهم في الاسكندرية . وبعدها انتقلوا جميعاً الى بكركي وقرروا ارسال التيان الى روما ، ولم يمهلوه الا بضعة ايام لمشاهدة اهله الذين مضى عليه عشرة اعوام دون ان يراهم ، وكان والده قد توفي اثناء غيابه . عرّج على قبرس حيث وافاه غرافيري ، واطلعه على ما جرى في لبنان . فاستاء هذا من الامر ، وزوّده برسالة الى روما محشوّة طعناً بالموارنة وبالتيان نفسه الذي انقلب لصالح البطريرك؛ ومما قاله غرافيري ان الموارنة عقدوا مجمعاً في لبنان قرّروا فيه رفض استقباله كزائر رسولي . ومكث في قبرس ينتظر تطور الاحداث .

كانت مهمة التيّان في روما على غاية من الصعوبة والحرج؛ فهو شاب لم يتجاوز الرابعة والعشرين ، ولم يمضِ على رسامته الكهنوتية سوى بضعة اشهر ، وليس لديه خبرة في كل هذه الشؤون الشائكة ، وهو يحمل رسائل من مطارنة الموارنة والمشايخ ، فيها لوم وعتب على رسالة البابا ، وتقريراً من غرافيري فيه ، يندّد به شخصياً وبالطائفة ، وطلباً من الامير يوسف والشيخ سعد والمشايخ والمطارنة ، بينهم الوكيل البطريركي نفسه ، بان يعاد البطريرك الى مقامه ، مع اعتذار هذا الاخير عن كل ما جرى معه .

غادر قبرس في اوائل نيسان سنة ١٧٨٤؛ وفور وصوله، قابل المسؤولين الرومانيين طالباً "ان المجمع يحقق اماني الموارنة الذين يلتمسون باجماع الكلمة ان يعاد بطريركهم الى منزلته الاولى". واستمر في مساعيه مدة ستة اشهر الى ان تكللت بالنجاح. ففي ٢٨ ايلول سنة ١٧٨٤، حكم المجمع المقدس بعودة البطريرك الى ولايته؛ ووجّه البابا بيوس السادس رسالة الى اكليروس الموارنة وشعبهم جاء فيها: "... قد اوعزنا الى قاصدنا اسقف أنوش بأن يشخص من ساعته الى كسروان، وهناك يعيد الاخ المحترم يوسف اسطفان الى البطريركية، ويعيد اليه منزلته الاولى وسلطانه" (١)، ورسالة مماثلة من الكردينال انطونللي الى الوكيل البطريركي المطران ميخائيل الخازن.

حمل التيّان هذه التحارير وقفل راجعاً الى لبنان. وجاء غرافيري – الذي كان قد انتقل الى طرابلس – لينادي بذلك بصورة رسمية باسم الحبر الاعظم. وكل هذه المساعي الاخيرة استغرقت اربعة اشهر اضافية (٢).

---

١) عبود، المرجع السابق، ص ٢٠٦.

٢) حول حياة التيّان ودوره في هذه المسألة راجع: الاب ابراهيم حرفوش، "مفوّض ابن سلّوم التيّان من بيروت"، في المنارة، ١٩٣٧، ص ٩-١٤ (نقلاً عن ارشيف بكركي)؛ راجع ايضاً عبود، المرجع السابق، ص ١٨١-٢٠٨.

٥- استعادة الكرسي البطريركي:

وهكذا، ففي ١١ شباط سنة ١٧٨٥، انتهت المرحلة الاخيرة من درب الصليب، ودخل البطريرك يوسف اسطفان مسقط رأسه غوسطا في يوم مشهود، بل في مهرجان عظيم، وخفّت الشخصيات والوفود من سائر انحاء لبنان الى غوسطا لتشاهد بطريركها العائد، وترافقه الى مقرّه في دير مار يوسف الحصن، على بضعة امتار من البيت المتواضع الذي ولد فيه. فتقدّم الصفوف المتراصة بملابسه الحبرية، وفي عنقه درع الرئاسة، وعلى رأسه التاج المرصّع، وفي يده صولجان الرعاية، التي جُرِّد منها طوال خمس سنوات. وفيما هو امام مدخل الكنيسة التي شيّدها بمساعدة صديقه لويس الخامس عشر ملك فرنسا سنة ١٧٦٩، ارتجل بصوته الجهوري، بالسريانية، هذا النشيد الذي لا نزال نرتّله من بعده في كنائسنا واحتفالاتنا، وقد دخل في صلب طقوسنا، والذي فيه كل قوله:

"افتح يا لبنان ابوابك التي اقفلت في وجهي. هتف زكريا اذ شاهد بالروح محاسنك الروحية. لقد وهبك الابن الصالح اسواراً منيعة، هي مارون ويعقوب ويوحنا مارون والثلاثمائة وخمسون شهيداً وليميناوس ومارينا ودومينيا، صلواتهم تعضدنا. فباركوه".

وبدأت مرحلة جديدة من حياة البطريرك حافلة بالمآتي والمآثر على مدى ثماني سنوات. ففي سنة ١٧٨٦، أوفد الخوري انطوان قيّالة، خريج المدرسة المارونية في روما، الى بلاط الملك لويس السادس عشر، لطلب قنصلية فرنسا للشيخ غندور بن سعد الخوري، تقديراً لذكرى والده الذي توفي في تلك الغضون. وعقد مجمعي وطا الجوز (١٧٨٦) وبكركي (١٧٩٠). ووقّع، باسم عائلته ومع اعيانها، صك تحويل دير عين ورقة الى مدرسة اكليريكية لخير الطائفة، خرّجت بطاركة واساقفة وكهنة علماء، وأرست قواعد النهضة في لبنان والشرق. ورسم سبعة مطارنة بينهم ثلاثة خلفوه على كرسي البطريركية، هم فيلبوس الجميّل، ويوحنا الحلو، ويوسف التيّان نفسه الذي كافأه البطريرك على مساعيه في روما، فجعله مطراناً بعمر ٢٦ سنة، ثم صار بطريركاً بعمر ٣٦ سنة؛ فبادر فور ارتقائه عرش انطاكية الى تنفيذ صك الوصية، ففتح مدرسة عين ورقة، ووضع لها القوانين، وراح يشرف بنفسه على الدروس والامتحانات.

وفي ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣، أسلم البطريرك يوسف اسطفان روحه الطاهرة الى خالقها بين يدي المطران يوحنا الحلو الذي زوّده بالاسرار الاخيرة، ودفن في مأتم مهيب في كنيسة مار يوسف الحصن عن يمين المذبح قرب الخورس؛ ويعلو الضريح اليوم تمثال

نصفي من البرونز تخليداً لذكرى بطريرك ماروني عاش كبيراً في وسط محنته ومات كبيراً.

٣- الوجه القانوني لقضية البطريرك يوسف اسطفان

المحامي ابراهيم اسطفان

قال بسكال: "يجب ان يكون تاريخ الكنيسة تاريخ الحقيقة نفسها".

أ) يطرح هذا العنوان اسئلة بديهية، من اهمها:

هل كانت تنحية البطريرك يوسف اسطفان قضية قانونية مرتبطة بممارسته لسلطانه البطريركي؟ ام انها قضية خاصة مرتبطة بمشكلة الراهبة هندية؟

واذا كانت هذه قضية رئيسية عامة، فلماذا تداخلت فيها قضايا عديدة، من بينها مسألة الراهبة هندية؟ ولماذا شاء بعضهم ان يطبّق عليها مبدأ تسمية الكل باسم الجزء؟ وهل في ذلك استظهار للعرض واخفاء للجوهر؟

تشكل هذه الاسئلة بالنسبة للباحث نوعا من الحيرة في قراءته الاولى لما كتب عن احداث القرن الثامن عشر. وتستهويه دون شك

قصة الراهبة هندية، والاسرار التي تكتنفها، والتناقضات التي تحيط بها، والصراعات التي نشأت حولها، لما تولّده من حشرية يلعب فيها الخيال دورا لا يقل شأنا عن قصائد سرفنتيس وطواحين "دون كيشوته" وحلمه المستحيل.

يجب ألاّ تحجب جميع هذه، على ما فيها من روحانية وماورائية، وما تخفيه من مصالح واغراض مادية وسلطوية، الالزام الواجب في قراءة الاحداث التاريخية الاخرى، وتمحيصها، توصلاً الى تحديد الجوهري منها، وعلى الاخص قضية تنحية بطريرك هو رائد النهضة التربوية، والتنظيمية، والطقسية، في لبنان والمشرق، وقانوني بارع، شغل الدوائر الفاتيكانية ما يزيد عن عشرين سنة، وكان بريئاً وظل بريئاً.

ستكون محاولتي في قراءة هذه الاحداث دون شك محكومة بضيق الوقت، وتشعب القضايا القانونية التي كانت مطروحة، وتداخل الشؤون والاعتبارات السياسية والاجتماعية وسواها في المسائل القانونية.

ب) لفهم مجريات الاحداث التي وقعت في عهد البطريرك يوسف اسطفان، لا بد من التذكير **بأهم المشكلات التي سبقت**

عهده، وقد ورثها فغدت سبباً مهماً في قضيته:

١- حركة الليتنة في الكنيسة المارونية، التي هدفت الى حصر المارونية في الشكل، بينما اصرّت المارونية على الاحتفاظ بجوهرها، رسالة مشرقية انطاكية، مناضلة في حضن الكنيسة الكاثوليكية، مما عرّض سلطة البطاركة للنقض، واحدث بلبلة في الكنيسة المارورنية.

٢- جاء انعقاد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ في دير سيدة اللويزة نتيجة للحركة السابقة، وفيه اخذت الكنيسة المارونية الكثير عن الكنيسة الكاثوليكية رغم تضامن الاساقفة والبطريرك على رفض كل شيء لا يتناسب وعوائد الطائفة؛ مما ألزم القاصد الرسولي يوسف السمعاني على ترجمة النسخة اللاتينية الى العربية، وتحويرها في كل ما خالف عوائد الطائفة او تنافى مع رتب طقوسها، فبرزت الى الوجود نسخة عربية معدّلة، واخرى لاتينية، مما ولّد تعارضاً واختلافاً في مواضع عديدة بين النسختين.

وقد استمر هذا الاشكال حتى سنة ١٨٨٥، حين حسم الخلاف بأمر صريح من قبل الكرسي الرسولي بتطبيق النسخة اللاتينية. وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا الاشكال لم يكن واضحاً

ومعروفاً في عهد بطريركية يوسف اسطفان ، لان الاعتقاد الذي ساد آنذاك كان مبنياً على ان السمعاني عدّل النسخة اللاتينية ، بحيث جاءت مطابقة لمقررات آباء المجمع ، وانها هي التي اثبتها البابا بنديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٤١ (١).

٣- قضية الراهبة هندية:

لقضية الراهبة هندية وجوه ثلاثة متصلة ومتداخلة:

اولها: انخطافها ، ورؤاها ، واوحيتها ، وزعمها انها عروس المسيح ، اتحدت به اتحاداً روحياً؛

ثانيها: ممارساتها وفضائلها كراهبة؛

ثالثها: قوانين اخوية هندية ورسومها.

بدت هذه القضايا الثلاث من خلال ما كتب حولها من مؤيد او مناهض ، انها قد نشأت وتطورت محكومة بأمور مهمة هي:

اولا: شهرة قداستها بسبب ما نشر عنها وعن جمهور ديرها من الآيات الباهرة وافعال الصلاح العجيبة. وللآباء اليسوعيين اليد الفضلى في هذه الشهرة ، وقد فاقهم الموارنة فيما بعد يوم انتقل الى

---

١) يراجع بهذا الخصوص مقال الاب بولس صفير في مجلة المنارة ، العدد الاول ، ١٩٨٣ ، ص ٨٣.

تدبيرهم امر الراهبة هندية، وكانت قد بلغت الثامنة والعشرين سنة من عمرها.

ثانياً: التنازع فيما بين الاضداد لاستغلال هذه الشهرة والاستفادة منها، وهو ما يشرح انقلاب المواقف من مؤيد الى خصم، ومن ثم الى مؤيد، ودواليك، واتهامها من خصومها بأنها متّحدة بالشيطان، وتقديسها من قبل مؤيديها.

ثالثاً: كان هذان الامران، الشهرة والتنازع مكملين لبعضهما البعض، وقد اوديا بالوجوه الثلاث التي يشار اليها عادة "بقضية الراهبة هندية" الى ازمة اطاحت بالثلاث معاً.

اما فيما يتعلق بالتداخل الذي حصل بين هذه القضية وقضية البطريرك يوسف اسطفان وممارسته لسلطانه البطريركي، فيقتضي معرفة الامور التالية:

انه حين انتخب البطريرك يوسف اسطفان سنة ١٧٦٦، كان قد انقضى على مجيء هندية الى لبنان ثماني عشرة سنة، وعلى استقرارها في بكركي ست عشرة سنة، وكانت قد بلغت اوج شهرتها بعد ان اثنى على فضائلها قصّاد روما، وباركها الحبر الاعظم

اكليمنضوس الثالث عشر، ومنحها الغفارين الكاملة لها ولكل من ينضوي تحت رسوم اخويتها، وكذلك البابا بنديكتوس الرابع عشر، مما يعني ان اجماعاً شاملاً كان قد حصل حول فضيلتها وفضيلة اخويتها؛ كما حصلت بناء لرغبة القاصد الرسولي الاب دازيداريو من كازاباشانا مصالحة بين اليسوعيين والبطريرك سمعان عواد والطائفة المارونية بهذا الخصوص.

اما لجهة اوحيتها وقداستها، وهو الوجه الاول من قضيتها، فقد اوعز الحبر الاعظم الى البطريرك سمعان عواد، بأن يقيم لهندية مرشدين من اهل الورع والحكمة، يجهدون بتثقيفها في خطة الروح القويمة، ويقصونها عن ازدحام الجمهور واستحسانه، لئلا يداخلها الزهو والمجد الفارغ، ويعرّضها للمخاطر (وهذا ما حصل فعلا وادّى الى الازمة التي تداخلت مع قضية البطريرك يوسف اسطفان). وصل حكم بنديكتوس الرابع عشر الى البطريرك سمعان عواد في ١٢ شباط ١٧٥٦؛ وبعد اشهر قليلة من وصوله، توفي، وخلفه البطريرك المطران طوبيا الخازن، ودامت بطريركيته عشر سنوات كانت هندية خلالها موفورة الجانب، زادت مع الايام شهرة قداستها. وجاء الجوّابون من الغرب يستطلعون اخبارها، كفولني، وبوجاد، ولامارتين، وباريس، وسواهم.

٤- القرن الثامن عشر عصر اضطراب وخضّات بين بعض الاساقفة والبطاركة:

في مقال له تحت عنوان "النائب البطريركي المطران ميخائيل الخازن ومجمع ميفوق"، كتب الاب فيليب السمراني (١) تمهيداً جاء فيه:

"شهد القرن الثامن عشر، بالنسبة الى الموارنة، خضّات عدّة قام بها بعض الاساقفة ضد البطاركة؛ اولها: قيامهم ضد البطريرك يعقوب عواد، لاتهامه تهما لا اساس لها، وحطه عن البطريركية، وحبسه في دير اللويزة بعدما عرّوه من الحلل البطريركية؛ وقد حكم البابا اقليمنضوس الحادي عشر بإعادته مكرّما الى مقامه البطريركي. ثانيا: انتخابهم بطريركين بذات الوقت، بعد ان رفض المطران سمعان عواد الكرسي البطريركي زهدا وتواضعا، فألغت روما الانتخابين على انهما باطلين ولا قيمة لهما، وأعادت سمعان عواد الى عرش البطريركية. ثالثهما: رفضهم الطاعة للبطريرك المذكور بعد سنتين من جلوسه، وإقامة نائب بطريركي مكانه؛ فوبّخهم البابا بنديكتوس الرابع عشر في رسالة بتاريخ ٢٠ تموز سنة ١٧٤٦، معلناً بطلان اعمالهم كلها جملة وتفصيلا. فلا عجب والحالة هذه اذا كانوا قد قاموا على البطريرك يوسف اسطفان بعد سنتين من انتخابه".

---

١) مجلة المنارة، العدد الاول، ١٩٨٣، ص ١٢٧.

٥- الامير يوسف شهاب وسعد الخوري:

بعد ان بلغ الامير يوسف شهاب سن الرشد، واستقلّ بالامارة سنة ١٧٧٠، رفع سعد الخوري الذي كان وصيّاً عليه، فجعله صاحب خزينته. وقد كان على هذه الخزينة ان تؤمن للامير يوسف استمرار حكمه في ارضاء كل من ظاهر العمر والاتراك في بادئ الامر، ومن ثم دفع نفقات الحرب التي تحالف فيها الامير يوسف مع والي دمشق ضد ظاهر العمر والاسطول الروسي، الى ان كوفيء احمد باشا الجزّار في حربه ضد ظاهر العمر، واعطي ولاية صيدا، فعمد الى تجريد لبنان من اقسامه الساحلية، وفرض الضرائب الباهظة على الامير يوسف، متّبعا سياسة تحريض اضداده عليه، الى ان جاء يوم ربط الامير يوسف منديلاً حول عنقه - علامة الاستسلام - وسلّم نفسه الى رحمة الجزّار الذي شنقه في عكّا. وقد ارهقت مستلزمات هذه السياسة كاهل البلاد والعباد، واوجدت الشقاق والخصام في مواضع عدّة، كما سنرى، وشكّلت كابوساً للبطريرك يوسف اسطفان لا يحتمل، جعل منه كبش المحرقة.

ج) البطريرك يوسف اسطفان وانفاذ احكام المجمع اللبناني:

في خضم هذه الاجواء، انتخب المطران يوسف اسطفان بطريركاً على الطائفة المارونية بتاريخ ٦ حزيران سنة ١٧٦٦، واوّل

ما سعى اليه انفاذ المجمع اللبناني ، مخافة ان يظل هذا الدستور حرفاً ميتاً عقيماً . ونتيجة لذلك ، وجد بعض المطارنة والرهبان اللبنانيين "الجبلية" أنه من الضروري عقد مجمع لهم في رام بو دقن بالقرب من عجلتون ، موجّه ضد البطريرك . لكن عملاً باحكام المجمع اللبناني الذي يحظّر على مطارنة "ان يتآمروا على البطريرك . . . ، او يتجاسروا على عقد مجمع ضده . . . ، او ان يستغيثوا على حكمه بالعالميّين ، او بأهل الكنيسة ايّاً من كانوا ولو بطاركة ، ما عدا الحبر الروماني . . . ، والاّ حلّت بهم عقوبة الحرم لمجرّد الفعل ، وكانت اعمالهم باطلة غير صحيحة" . تَهدّدهم البطريرك يوسف اسطفان بإذاعة حرمهم على الطائفة ، اذا لم يتبدّد كل منهم الى مكانه ، فانفضّت حلقتهم ، لكنهم رفعوا شكواهم الى رومية التي وجدوا لهم مسعفاً فيها ، هو المطران اسطفان عواد الذي كان قد طلب من البطريرك ان يقدّم له احد ابناء عائلته الى درجة الاسقفية ، فلم يستجب له .

أحال البابا اكليمنضوس الرابع عشر الشكوى الى مجمع نشر الايمان المقدس ، وفوّضه النظر بها ، فكلّف الاب فالاريانو بصفة قاصد رسولي بالبحث في هذه الدعوى وفصلها ؛ فلم يستطع هذا الاخير امراً ، وقفل راجعاً من غير جدوى ، حاملاً معه شكاوى اخصام البطريرك ومناوئيه .

اما البطريرك واكثرية المطارنة والاعيان ، فقد ابلغوا القاصد المذكور بأنهم مزمعون ان يرسلوا قاصداً بطريركياً من طرفهم ، لبيان حججهم وللدفاع عن موقفهم ، وكتبوا الى رئيس مجمع نشر الايمان بهذا .

من مراجعة الجواب القانوني للبطريرك ، المبني على وقائع ثابتة بمستندات خطّية وحجج دامغة ، ومن بيان سائر المطارنة الآخرين ، ومن تقرير الاب فالاريانو القاصد الرسولي ، تاريخ ١٠ ايلول سنة ١٧٧٣ ، تتبيّن بوضوح الامور التالية:

نتيجة مداخلات الامير يوسف وسعد الخوري ، وفرضهما الضرائب على الطائفة والبطريركية ، حصل نزاع تسبّبت به الرغبة في جباية العشور والمنفعة؛ وقد حاول الامير يوسف وسعد الخوري والمطارنة العصاة الزام البطريرك بالتخلي لهم عن الحقوق التي تعود اليه قانوناً ، فلم يرضَ .

كما اكّد القاصد انّ في الشكاوى المقدّمة الى المجمع المقدس ، مغالاة لا شبهة فيها ، وان كلاً من البطريرك والاساقفة العصاة قد وقفوا موقفاً صلباً ، الاول مستنداً الى ذرائع قانونية ، والآخرين مستندين الى ذراع الحاكم .

ويشير التقرير اخيراً الى ان البطريرك رفض الغاء اجازة اكل اللحم في عيد قلب يسوع، لان الاجازة لا تتجاوز حدود سلطانه البطريركي، وان من حقوقه ايضا منح الغفارين الكاملة، وانه سيرفع الى المجمع المقدس ما عنده من بيّنات بخصوص هذه البنود وينهي القاصد تقريره بالاعتذار لعدم استطاعته فضّ النزاع.

نصل الآن الى واقعة مهمة وخطيرة، هي التي كوّنت العقدة التي ستفجّر كافة القضايا. فكما اشرنا سابقاً، كلّف البطريرك السيد ارسانيوس عبد الاحد، مطران دمشق الشام، بالذهاب الى روما كقاصد بطريركي، وحمّله جميع البيّنات والحجج اللازمة، ليقدّمها الى الكرسي الرسولي ويبسط له الحقائق.

لكن المجمع المقدس لم ينتظر وصول القاصد البطريركي، فعقد جلسة في ٨ تموز سنة ١٧٧٤، وبحث في الدعوى، وفصلها، واقرّ احكاماً كثيرة تتعلق بالموارنة اخصّها سبعة. وسمّى المجمع قاصداً رسولياً جديداً هو الاب بطرس دي موريتا الفرنسيسكاني، وكلّفه السفر الى لبنان ليبلّغ الاحكام السبعة الى البطريرك والى الطائفة جميعها اذا دعت الضرورة، دون ان يأبه لأمر القاصد البطريركي وحق البطريرك في ابداء حججه والدفاع عن

كتب البطريرك بخصوص هذه الاحكام فقال: "في اوائل سنة ١٧٧٥ وصل الاب دي موريتا الى حريصا، فلقيته بأعظم تجلة انا وبطريرك الارمن واساقفة الطائفة واعيانها، وسألناه ألاّ يذيع شيئا ريثما يجيء الجواب من رومية بعد وصول المطران ارسانيوس (القاصد البطريركي)، على اننا سنقبل آنئذ كل ما كان مسنداً اليه . . . امّا هو فنبذ رأي الجميع، ولم يعمل الاّ بمشورة القليلين، فتمالأ مع الاساقفة الثلاثة المطران فاضل، والمطران خازن، والمطران ميخائيل، والرهبان الجبليين . . . وشكاني القاصد الى الامير الغير المؤمن، وبذراعه اراد ان يلجئني وكافة الطائفة الى عقد مجمع، والى قبول ما كان حاملاً"؛ إلاّ ان البطريرك لم يفعل، وتمسّك بحقوقه وسلطانه.

يوافق دي موريتا في ما كتب بهذا الخصوص على ان البطريرك اجاب بانه ارسل المطران ارسانيوس عبد الاحد قاصداً عنه لدى الكرسي الرسولي، وحمّله البيّنات والحجج اللازمة، فلا يريد ان يقبل تنفيذ امر قبل عودة قاصده من رومية . . .، وان رومية لا يمكنها ان تفصل الدعوى قبل استماع احتجاجه، ولا ان تعبث بحق من حقوق سلطانه وولايته ويضيف دي موريتا: "لكن المطارنة اضداده كانوا يدفعوني الى ان اذيع الاحكام . . . وبين كنت في هذه الحيرة، وصلتني رسالة من الحاكم امير الدروز يحثني فيها على اذاعة احكام رومية،

ويعدني بمساعدة ذراعه الفعّالة لحمل البطريرك على الاطاعة. فانتعشت فيّ الامال، ومنيت النفس بالاستظهار على البطريرك بعون الامير. فكتبت اليه في ٣ اذار باسم المجمع المقدس، ان يلغي اجازة اكل اللحم في عيد قلب يسوع، والغفارين الكاملة التي منحها من قبل فأجابني انه اوضح لي من قبل، ما وطن النفس عليه، فلا يقبل امراً، ولا يسمح بإذاعة شيء، قبل عودة قاصده، وانه رفع دعواه الى رومية، لا الى لوندرا او الاستانة".

على الرغم من ذلك، اذاع القاصد الحكمين الاولين، فنادى بهما المطران ميخائيل فاضل على الشعب في عيد الفصح سنة ١٧٧٥ في كنيسة بيروت برسالة رعائية تليت جهراً، فما كان من البطريرك الاّ ان حمّل الخوري جرجس ادّه منشور حرمه، وامره بقراءته جهرا في كنيسة بيروت المذكورة، فاحدث ذلك جلبة وضوضاء في الكنيسة، فاقفلها البطريرك معلقا عليها تأديب المنع البيعي.

وعلى اثر هذه الامور وملابساتها، كتب دي موريتا الى مجمع نشر الايمان، قائلا:

"لقد اولت نيّات المجمع المقدس هذا التأويل الواسع، بسبب بعد المسافة التي تفصلني عن روما، فأرجو ان لا يسفه المجمع المقدس رأيي ويخطىء ما عملته مضطرا. اما الطرق التي تقهر البطريرك وتعيد السلام الى الطائفة فهي:

– ان يعيّن دير بكركي ببراءة رسولية مقرّا بطريركياً؛

– وان تصرف راهباته وهنّ اربعون . . . لانه يظهر ان اخصّ مظاهر الشر هندية وديرها، واستقرار البطريرك بغوسطا . . .؛

– ان يحتّم على البطريرك كل ما تقدّم في اجل مضروب، حتى اذا تقضى ولم يفعل، يقع للحال في عقوبة الرباط، وليسمى نايب يقوم مقام البطريرك، هو ميخائيل الخازن".

ولانفاذ هذه الذرائع وضع القاصد الرسولي خطّة متكاملة من عدة نقاط، تهدف للاحكام على البطريرك وقهره؛ وقد نشرها القس بولس عبود (١) نقلاً عن تقرير القاصد المذكور، مؤرَّخ في ١٨ نيسان سنة ١٧٧٥، ومرسل الى رئيس المجمع المقدس. تتركز هذه الخطة على ما يلي:

١ً– ان تستحصل رسالة من وزير البحر في فرنسا الى القنصل الفرنساوي في صيدا، ليساعد القاصد في شؤونه، وخاصة عند الحاكم امير الدروز، وان يكتب ايضا الكردينال الرئيس او الكردينال دي برنيس الى القنصل بالمعنى نفسه؛

٢ً– ان يرسل الاب الاقدس خطّا حبريا الى امير الدروز يوسف شهاب مع هدية، كسيف مثلاً، ويسأله ان يعضد القاصد بكل قوته؛

---

١) بصائر الزمان، ص ٥٢.

٣ً– ان يرسل اليّ مبلغ خمسماية ريال (روماني)، فيكون لي عونا في اهداء الهدايا وارسال الرسائل والرسل، وفي اشياء اخرى بحسب عادة البلاد؛

٤ً– وارى ان تعين، بمعزل عن سلطان البطريرك، ابرشية بيروت مع الحدود المخصّصة بها في مجمع غوسطا للمطران ميخائيل فاضل، وان تستمر في يد المطران ميخائيل الخازن الابرشية الصغيرة التي اعطيها في المجمع المذكور".

وخطة دي موريتا هذه هي مبنية، على حدّ ما كتبه في تقرير آخر، على الاساس التالي: "لا يخشى ابدا من ثورة او بدعة، لان الموارنة في حالة لا تمكّنهم من ان يكونوا سوى كاثوليكيين، اولاً لان البلاد لا تحتمل غير ذلك، وهذا هو الفضل الوحيد الذي تفتخر به الطائفة المارونية؛ ثانياً، لانه يضطرهم الى ذلك بغض بقية الطوائف الشرقية المسيحية لهم، اعني الارمن والروم والقبط والسريان، فلا يخشى الاّ من البطريرك الذي قد يكون انه، لصلابة رأسه وعناده، يركب متن الشطط، فيسهل في هذا الموطن ان تغل يداه، اذا كان جاهزاً مرسوم يمنع فيه عن درجته، مع امر للاساقفة المطيعين بانتخاب نائب بطريركي، او بالخضوع لنائب يختاره الكرسي الرسولي نفسه، لانني اعتقد ان اصفياء البطريرك انفسهم يتركونه في هذه الحالة، لان التأديبات الكنسية تسهّل كل صعب في هذه الانحاء حتى ان الوثنيين انفسهم يمقتون من كان محروماً".

نتوقف عند هذه الخطة الذي تضمّنها تقرير دي موريتا لنورد الملاحظات والتساؤلات التالية:

١) ان مجمع نشر الايمان كان واضعاً يده على القضية، وكأنه محكمة يجب عليها ان تنظر اليها بموضوعية وتجرّد، وان تتقيّد بقواعد المحاكمة، وقوانين الكنيسة، ومبادئ العدل والانصاف؛ فكيف يقبل ان توجّه اليه مثل هذه الخطة دون ان يعمد الى كفّ يد صاحبها؟

٢) تشير الخطة بوضوح لا التباس فيه، الى ان النزاع الذي اثاره بعض المطارنة والرهبان، بتحريض من الامير يوسف وسعد الخوري وتبنّاه القاصد ومجمع نشر الايمان، اصبح يدور حول صلاحيات البطريرك الماروني، وحقوقه، وامتيازاته التاريخية في تدبير شؤون طائفته، على الصعيدين الاداري والطقسي.

٣) اقحم دي موريتا موضوع الراهبة هندية ورهبنة قلب يسوع بخطته التي اشرنا اليها بصورة مباشرة، على الرغم من ان النزاع لم يكن يتناولها. ورسم لها سلفاً المصير الذي واجهته فيما بعد، وذلك باعتبارها سنداً للبطريرك، واحدى مصادر الشر.

٤) توقّع دي موريتا ان ترفض الطائفة الاجراءات التي نصح باتخاذها، ولذلك عمد الى طلب اتخاذ الاحتياطات القصوى، وشدّد على ان الموارنة لا يمكنهم الاّ ان يخضعوا لاحكام المجمع.

د) الوجه القانوني:

القضية القانونية هي الحادثة التي يقع فيها التخاصم امام المرجع القضائي فتجري بشأنها المحاكمة بصورة شرعية وفقاً لقوانين العدالة، ويتم فصلها بموجب حكم معلل متأت عن القناعة الكلية بصحة الوقائع وثبوتها وشرعية القوانين المطبقة بصددها.

اما ضرورة المحاكمة وفقاً للاصول الشرعية، فاشهر من ان تبين، خاصة وان الاركان الاساسية والجوهرية للمسيحية انما هي المحافظة على الحقوق الذاتية للفرد وللجماعة. وقد اشار اهرينغ الى هذه الناحية بقوله المأثور: "المحاكمة هي الاخت الشقيقة للحرية ...".

اما القواعد الشرعية للمحاكمات الكنسية التي كانت متبعة في القرن الثامن عشر، فقد كانت - في المواد المدنية - نفس الاصول القانونية الرومانية لعهد الامبراطورية السفلى (Bas Empire) وهي توجب:

- تقديم استدعاء الدعوى،
- استحضار الطرفين امام المحكمة لسماع حججهما،
- الاطلاع على المواد الثبوتية،
- ومن ثم اصدار الحكم.

اما في المواد الجزائية ، فبعد ان كانت الاصول تستند الى تقديم الشكوى التي تطبق بشأنها نفس قواعد المحاكمة المدنية ، استبدلت اعتباراً من القرن السابع عشر باصول التحقيق والفحص (Procédure Inquisitoire) ؛ فحالما يتبلغ القاضي الحادثة او الشكوى ، يضع يده على القضية ، ويعمد الى اجراء التحقيق للبحث في الاثباتات ، ثم يصدر حكمه بالاستناد الى هذا التحقيق .

بقي ان نشير الى انه في اي زمن وتحت اية اصول معتمدة ، فان الدفاع هو حق مقدس ، وارتكاز الحكم على وقائع صحيحة ومثبتة ، هو امر اساسي وقائم في اية محاكمة تستحق هذا الاسم ، من عهد حمورابي ولدى جميع الشعوب ، ومخالفته تعسف يفقد الاحكام علتها النهائية التي هي حفظ النظام في المجتمع . وهذا التعسف وهذا الظلم هما اللذان يجعلان من حادث ما قضية تاريخية قائمة ، حتى بيان الحق واعلانه بدون التباس .

اشرنا اعلاه الى ان الاصول المعتمدة في القرن الثامن عشر كانت ترتكز على اعمال التحقيق ، وان دور المحققين او القصاد الرسوليين كان الاساس في اعمال المحاكمة وفي النتائج التي كانت تتوصل اليها قرارات المجامع والبراءات الرسولية ، خاصة فيما يتعلق بشأن المنازعات المحلية والوقائع المادية .

من هذا المنطلق، كان من الجوهري ان يتصف القصاد والمحققون بالتجرد، كما كان يتوجب عليهم استقصاء صحة البيانات، والتدقيق في التواقيع التي تتضمنها، وخلو اصحاب الشهادات من الغرض او المصلحة. كما كان يفترض فيهم ان يجروا تحقيقاتهم في شؤون محصورة بابواب معينة ومحددة على وجه التخصيص منعاً للتشويش والتداخل.

من هذه المنطلقات، لو اجرينا مقارنة بسيطة بين اعمال القاصد الرسولي دازيداريو المعين في عهد البطريرك سمعان عواد، واعمال دي موريتا، لاكتشفنا الفرق الشاسع في اعمال التحقيق وضبطه وفقاً للاصول الشرعية، ولادركنا معنى التجرد الذي ادى الى اجراء الصلح بين الموارنة واليسوعيين، واستتباب السلام في عهد البطريرك عواد، ومعنى التحيز الفاضح مع دي موريتا الذي ادى الى خصام وضياع كلي لمختلف الشؤون التي تدخل فيها، وكاد الامر ان يؤدي بالطائفة الى مصير مجهول.

حين نقرأ تقارير دازيداريو، خاصة تقريره الموضوع في نيسان ١٧٥٣، نجد فيه ما حرفيته: ". . . هذه الاخبار جعلتني ادرك انه من الواجب ان افتح عيني، واسمع الجميع، والا اثق باحد قبل ان استجلي الاشياء واتيقن انها اوردت كما هي. فبهذه النية شخصت الى مشموشة مع

كاتم اسراري ورفيقي لافاوض البطريرك فيما فوض الي. . .

وفي موضع التحقق من صحة توقيع رئيس رهبان دير مار اشعيا يورد التقرير:

"وبعد الغداء خلوت بكاتم اسراري العربي في بعض الغرف، ودعوت الاب العام مع المدبرين الذين كانوا هناك، وسألته عما اذا كان يعرف خطه وخاتمه، فاجابني للحال بانه يعرفهما جيداً. فعندئذ ابرزت كتابة اصلية. . .، فاريتها الاب العام، فنظر اليها وقرأها كلها، فاقرّ بانها ولا ريب كتابة وقعها بخط يده وطبعها بخاتمه".

فبالمقارنة بين اعمال هذا القاصد وبين اعمال دي موريتا وتقاريره، يتحدد الى حدّ بعيد واحد من الاسباب الرئيسية لاضطراب اعمال التحقيق، والمحاكمة، وازدياد الخصام الذي بلغ حدّ السماء. نقرأ مثلاً في تقرير دي موريتا المتضمن خطته الشهيرة ما حرفيته:

". . . وحصل في الوقت نفسه ما زاد بغض الطائفة لبطريركها، فشاع ان البطريرك اجاز بسلطانه الخاص زواج شيخ من بيت الخازن بابنة عمه. . .، فاحدث الخبر ضوضاء في البلاد. . .؛ فانكر البعض صحة الخبر واوجبه الآخرون. . ." انتهى كلام دي موريتا.

ماذا يعني هذا الكلام؟ هل يفهم منه ان البطريرك اجاز الزواج المذكور؟ ام لم يجزه؟ ومرات عدّة تَرِد في تقاريره كلمتا "شاع" و "بلغني"، دون تحديد المصدر او التحقق من صحة ما بلغه.

نستنتج مما تقدم، ان قرارات مجمع نشر الايمان هي قانوناً مخالفة للصورة الشرعية للمحاكمة، وهذا الامر لم يغفل عنه البطريرك، وقد اوضحه فى رسائله الى المجمع والى قداسة الحبر الاعظم مراراً وتكراراً، وضمنه دراسة قانونية تاريخية وضعها في نيسان سنة ١٧٧٥، دعاها "الرواية الحقيقية في سلطة بطريرك الطائفة المارونية"، وفيها يقول: "فلم ينظروا السادة الكردينالية وصول قاصدنا، وحكموا علينا اننا عاندنا امرهم، من غير ان يقفوا على كلامنا وحقوقنا. وفي هذا الحكم يوجد اختلال في النظام الشرعي من ثلاثة ابواب: الباب الاول، عدم انتظار وصول القاصد. . . (تشكيل الخصومة)؛ الباب الثاني، ركزوا الحكم على تخبير فاسد ولم يقافوا على كلامنا كم هو جوهري مضمونه. . . (حق الدفاع)؛ والباب الثالث، قد اعتدوا باحكامهم انهم مطابقين لاحكام المجمع اللبناني. . .، لكنهم في الحقيقة ناقضوا ونقضوا ولاشوا وهدموا قوانين المجمع اللبناني".

يستحيل علينا لضيق الوقت ان نعرض كامل الحجج القانونية

التي تضمنها هذا البحث الذي نشره القس بولس عبود في ذيل كتابه "بصائر الزمان"، من الصفحة ٧٣ الى الصفحة ١٠٩ ، نقلاً عن الصورة الاصلية المحفوظة في سجلات بكركي والمكتوبة بخط البطريرك. إلاّ اننا نورد مقاطع مما كتبه بخصوص سلطة البطريرك الماروني، كمقدمة للرد على المراسيم السبعة، يقول:

"اما بخصوص وظيفة بطريرك الموارنة الانطاكي الرفيعة الشان وسلطته العليا، فلا يمكن بالحقيقة ان ينورد لاجل ثباتها وحقيقتها قياس اجلى واثبت واقرب بالحال من هذا القياس، وهو انه، من جهة واحدة، قد تصرف هذا البطريرك بهذه السلطة والوظيفة بمدة اجيال متعددة تصرفاً كاملاً خال من كل نزاع بحال ناج من كل تخلخل وانقطاع، ومن جهة اخرى الكنيسة الرومانية المقدسة والسدة الرسولية قرت له لهذا الحال السامي والرتبة العلية، وعرفته دايماً انه من جملة البطاركة العظما الكبار. . . ولا يقول قايل ان اسم "بطرك انطاكية" في بطاركة الموارنة كان اسم ولقب شرف فقط وليس اسم سلطة وتصرف، لان البابا اسكندر الرابع في بلته الموجهة للبطريرك شمعون الحدتي سنة ١٣٥٦، وقبل منه بزمان كتير، اعني سنة ١٣١٥، البابا اينوشنسيوس الثالث الذي عقد المجمع اللاتيني الرابع العام، وحضر به البطرك ارميا بطرك الموارنة بشخصه، اصدر بلة ذهبية للبطرك المذكور، وبها ثبت له ولخلفايه كل الانعامات والخصوصيات والعوايد. قال التي انت وسلفاوك انعرفتم انكم متملكونها في الكنيسة الانطاكية الى هذا الوقت. انتهى. وقد

اوضح طلاق سلطانه الرسولي الروماني بتلك اللفظات القوية المعاني التى اضافها حالاً قايلاً فهذه كلها نمنحها لك ولخلفايك بقوة سلطاننا الرسولي". انتهى.

"وبالحقيقة بعد ان الشراكسه ضبطوا مدينة انطاكية، واخلوها من بطاركة اللاتينيين الكاثوليكيين، فلا شك ولا ريب في ان كنيسة انطاكية الرسولية بكل حقوقها وسلطانها اتصلت متمكنة ببطريرك الموارنة، وصار هذا البطريرك يتلقب بانطاكي، ليس بطريقة الشرف الساذج، بل بطريقة الخلافة الشرعية الحقيقية المتصفة بكمال السلطة البطريركية. وبهذا النوع هذا البطريرك الماروني استقام حافظاً ومالكاً او قلما يكون دخل في ذاك الحين بهذا التملك الصحيح لان يكون واحداً من بطاركة الشرق الاربعة الكبار، اعني التالت بالعدد وهو الانطاكي. فبهذه المنزلة والرتبة طلب دايما بطريرك الموارنة التثبيت والدرع الرياسي واستمده من غير منازعة ولا صعوبة من الحبر الروماني في ذاك الحين الى يومنا هذا. وهذان التثبيت والدرع الرسولي هما كافيان لان يجعلا بطريرك الموارنة احد بطاركة الشرق العظماء الكبار. وقد برهن عن ذلك بعلمه الثاقب المعلم برياشللي في البحث ٨٤ من النطلس ٣؛ غير ان السلطة البطريركية والخلافة الناموسية على الكنيسة والبطريركية الانطاكية انحصرت وتقررت باثبات وتحقيق واضح ودايم بشخص بطريرك الموارنة الذي كان قايم وقتئذ قد اعرض علي البابا المذكور بعض سؤالات يستفهم بها الى اي حد يبلغ سلطانه وتصرفه الكنايسي. فمن جملة الاجوبة الحبرية التي

ارتدت له قد تشرف بهذا الجواب وبهذه اللفظات عينها من فم قدس قداسته. قال: "قد يبان انه يجب ان تمنح لهذا البطريرك خصوصيات البطاركة القدما المسطرة في فصل الخصوصيات مع شرح العلما، ولا يمنع عنه السلطان لان يحل من كل التاديبات والحوادث". " انتهى.

كما يشرحان عن ذلك شرحاً مسهباً المعلم بنياتللي في العدد السبعين والاثنين وسبعين من المشورة الحادية والاربعين من المجلد الخامس، والبادري توما يسوع في الجواب على الاعتراض عن الاعتراف في الفصل الخامس من الكتاب السابع:

"اعلم ايها القارئ اللبيب، اننا وضعنا هذا الشرح الوجيز بطريق الاختصار لكن بنوع جلي وواضح لكي تنظر متبصراً بمزايا الطائفة المارونية وعوايدها ورتبها المقدسة المؤسسة على الايمان المستقيم في كل وقت وزمان، وتشاهد غير مرتاباً بحقوق وسلطة بطركها الانطاكي السامية الرفيعة المقام. وهذا الشرح قصدنا ان يكون مقدمة لردنا على المراسيم السبعة لانه يخولك سهولة وايضاحاً لفحص كل من المراسيم المذكورة ولابراز الحكم القويم عنها".

خلاصة البحث في نظر البطريرك يوسف، ان البطريرك الماروني هو من جملة البطاركة الاربعة الكبار الثالث بالعدد. ولقب

"بطريرك انطاكية" ليس لقب شرف بل سلطة وتصرفاً، وانه بهذه الصفة قد تصرف بسلطانه ووظيفته عدة اجيال تصرفاً كاملاً وخالياً من اي نزاع او انقطاع. والسدة الرسولية اقرت له بهذا الحال انطلاقاً من قواعدها المثبتة بمراسم حبرية، "ان ما تمّ عليه الرضى مرة، لا يعود ممكناً الرجوع عنه"؛ فكيف اذا كان الرضى جيلاً بعد جيل معلناً ومستمراً؟

ما يثير الدهشة والعجب، انه في خضم هذا الصراع، لا يجد الباحث اي ردّ قانوني معللّ على ما تقدم ذكره وهو موضوع مهم وخطير. وقد كان من شأنه ان يثير معاثر كثيرة، وقد اثارها. فابحاث دي موريتا واهتماماته لم تكن منصبة الا على وضع الخطط كالتي رأينا. وانه لمن المؤسف حقاً ان يجاوب على مثل هذا الموضوع الخطير بخطة مبنية على اساس واحد، هو ان الموارنة لا يمكنهم إلاّ ان يكونوا كاثوليكيين وخاضعين لسلطان الحبر الاعظم... وهذا صحيح وواجب، وقدسية هذا الواجب لا تجعل منه اساساً صالحاً لوضع اية خطة مخالفة للناموس والحق الطبيعي والقواعد الشرعية.

فاي سلطة او سلطان يبقى للبطريرك، بل اي دور، حين يصبح من حق سواه ان يعين له المقرّ البطريركي، وان يحدد دخل كرسيه البطريركي في زمن كان هذا الكرسي مسؤولاً عن دفع

الضـرائب عن نـفسـه وعـن الطائفـة . . . ، وان تعطـى بمعـزل عنه ابرشيات للمطران فـاضل على بيروت ، وحلب للمطران شكري ، وثالثة للمطران مخـايل الخازن . . . ، وان يكره يواكيم على تسمية المطران رافائيل الحلبي نائباً له؟ كل ذلك وسـواه ، بما فيـه حل والغاء الرهبانيـات ، يجب ان يحتم على البـطريرك تنفيذه بـحسب خطة دي موريتـا في اجل مضـروب ، حتى اذا انقـضى ولم يفعل ، يقع لـلحال في عـقوبة الرباط ، ويعين مكانـه نائباً يقـوم مقـامه . هذه هي المسألة وهذه هي القضية ، ان جـازت الى حين على البعض ، فلن تجوز على الجميع وفي كل حين .

هـ) التطورات التي تلت :

ومن غرائب الصدف المستحبة لاخصـام البطريرك ، وخاصة الميـر يوسف ، انه ، وبينما الخـصـام على هذه الحال ، وبعـد ان وضع القاصـد خطته بما يـقارب السنتين ، حـصل في دير هندية في بكركي في صـيف ١٧٧٧ اضطراب ونزاعات اوقـعت الخصـام بين الجمـيع ، وقسمت اهل ديرها بين مؤيد لقداستها وجاحد لها . وقد تسبب ذلك باشاعـات وبلبلة ملأت البـلاد ، مما حمل البطريرك على عـقد مـجمع في بكركي حضره اساقـفة الطائفة واعيانها . وبعـد ان اجرى استنطاقاً قـانونياً اسـتطلاعـاً للحقـائق ، رفع كـامل ملف القـضية الى الكرسي

الرسولي ليقضي فيها الحبر الاعظم ، معلناً قبوله المسبق وخضوعه لهذا الحكم بالارتياح ، وقد اجرى ذلك في صيف ١٧٧٧ .

وهنا حانت الفرصة الضرورية للامير يوسف ومستشاره سعد الخوري الذي اجتمع الى القاصد الرسولي ، ووجه الى دير بكركي ثمانين خيالاً ، فاحتلوا الدير ، واستولوا على كامل ما كان فيه من كنوز ونفائس ، يروي بعضهم انها بلغت آلاف الاكياس من الذهب ، وشتتوا راهباته ، واباحوا ارزاقه ، فلم يحرك القاصد او المطران فاضل او سواه من مناوئي البطريرك ساكناً . لا بل على العكس ، اعتبروا ان الفرصة سانحة لالزام البطريرك على عقد مجمع ، ونشر الاحكام السبعة ، فارسلوا يحاصرون مقر البطريركية بالعسكر والخيالة ، وابلغه المير يوسف امراً صارماً بوجوب عقد مجمع بالخصوص المذكور ، فرفض .

وبتاريخ ٢٢ آذار سنة ١٧٧٧ ، وبعد مضي سنتين على وصول القاصد البطريركي الى روما ، عقد المجمع جلسة اعاد النظر فيها بالاحكام التي كان قد اقرّها سنة ١٧٧٤ ، وبحث الحكمين الرابع والسادس منها ، وأصدر احكاماً جديدة ايدها جميعها البابا بيوس السادس بموجب براءة رسولية ، وفوّض الى الاب دي موريتا اذاعتها وانفاذها .

وصلت هذه الاحكام الى لبنان بعد ان كانت احداث بكركي وتطوراتها قد وقعت، وقامت الشكاوى بحق البطريرك من اخصامه ومناوئيه، ولم يبقَ من تهمة تتصورها مخيلة الا وحاولوا الصاقها به. اما هو فما ان بلغته الاحكام الجديدة في نهاية تشرين الثاني ١٧٧٧، وورد الجواب من رومية بشأن اعادة النظر في الاحكام السبعة، حتى عمد الى ترجمتها الى اللغة العربية، وطبعها بخاتمه واذاعها.

و) في حقيقة موقف البطريرك من الراهبة هندية:

بالاشارة الى ما اوردناه في مطلع هذا البحث من ان قضية هندية هي ذات وجوه ثلاث: ما يرتبط بقداستها، وهذا الامر اتخذ منه البطريرك يوسف موقفاً محايداً؛ اما ما يرتبط منه بفضيلتها وديرها ورهبانيتها، فيقول في كتابه الى سعد الخوري في ٣٠ ايار سنة ١٧٨٢: "... ان حسن ظني بهم اي هندية ورهبنايتها في السابق ما كان من حكم عقلي او من شهادة احد...، بل كان مستنداً الى شهادات وكتابات قصاد الكنيسة، وعلى براءة البابا بنديكتوس الرابع عشر، ومكاتيب الكردينالية الذين فحصوا القانون، ولا كان حشدي لهم (اي عضدي لهم) لاجل طمع او عشرة قروش او بغضة في احد، بل تبعاً لرأي الحبر والقصاد والكردينالية المذكورين؛ ولما رفضتهم الكنيسة وحكمت عليهم

بالغش والانخداع، حالاً تخليت عنهم كما هو مشهور عند كل احد...".

ز) شكاوى بلغت حدّ السماء:

وجد اخصام البطريرك في حوداث بكركي، وكما رأينا، ظرفاً مؤاتياً للنيل منه، فاغرقوا مجمع نشر الايمان بالشكاوى المقرونة بتقارير القاصد الرسولي، وتحقيقاته، وخططه الشهيرة، مما حمل المجمع على ان يصدر بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩، وفي معرض النظر بقضية الراهبة هندية، الحكم الثالث الذي جاء فيه: "يوجب المجمع المقدس على البطريرك يوسف اسطفان ان يسافر الى روميه ليبرئ من بعض اعمال اتاها، ويقطعه على سلطانه البطريركي والاسقفي...".

ارفقت هذه الاحكام برسالة حبرية في التاريخ نفسه، ترجمتها منشورة في كتاب بصائر الزمان للقس بولس عبود، صفحة ٦٧، وقد جاء فيها: "نحن نرجو كل الرجاء انكم تقبلون كلكم مع اعظم ارتياح تلك الاشياء التي رأينا ان نقضي بها ارجاعاً للسلام والسكينة بينكم، وانكم لا تحتملون في حال ان احداً يعترض او يعرقل مراسيمنا واوامرنا الناصعة والضرورية، فهذا اقصى ما تطلبه النفس منكم ايها الاخوة المحترمون..." وفي مكان آخر: "ان تتعبوا باعظم اجتهاد، وترعوا باجماع

الرأي كل المراسيم التي تصدر عن هذه سدة بطرس الطوباوي الرسولية؛ بذلك تقدمون لنا برهانا ساطعاً على اخلاصكم لهذه السدة المقدسة".

تحدد هذه الرسالة الحبرية بوضوح كلي ان موضوع تنفيذ المراسيم والاوامر الصادرة عن سدة بطرس الطوباوي، هي الموضوع الرئيسي الذي كانت روما تسعى الى افهام الجميع انه غير قابل للنقض او العرقلة.

اما المرحلة التي تلت، فقد عالجها الاب اغناطيوس سعاده في محاضرته، لكن لنا بعض الملاحظات التي من شأنها ان توضح على وجه المستطاع الغاية الحقيقية التي كان يتوخاها كل من الاب دي موريتا والمطران ميخائيل فاضل، بعد ان كان الامير يوسف ومستشاره قد وصلا الى غايتهما. ففي هذا السبيل نشير الى ما يلي:

١) عُقد المجمع بقوة الامير يوسف، ونادى به النائب البطريركي، لكن الاب القاصد هو الذي رئسه، وقد وقعه بهذه الصفة.

٢) فيما كان البطريرك ما يزال موقوفاً عن ممارسته لصلاحياته وبموجب براءة البابا بيوس السادس، تاريخ ٢٤ تشرين الاول سنة

١٧٨٣ ، عيّن الكرسي الرسولي ، "الاخ المحترم بطرس دي موريتا المجمل حديثاً بالوسم الاسقفي وبلقب وبسلطان زائر رسولي لينظر مع الاجتهاد ، ويرفع الينا بأشدّ نشاط ما ينبغي عمله لارجاع السلام وتآلف القلوب . . . " ، وفق ما جاء في البراءة الرسولية .

٣) وهذا الامر اثار اخصام البطريرك وباقي المطارين الذين رفعوا في ١٥ آذار سنة ١٧٨٤ الى ذوي النيافة في المجمع المقدس رسالة جاء في خلاصتها ما يلي:

"اذا كان الكرسي الرسولي ومجمعكم المقدس يريدان ان يراسلانا بواسطة الغير ، وان ينيطا امورنا بأشخاص آخرين اياً كانوا ، فنحن لا نريد ان تكون امورنا مناطة الا بالكرسي الرسولي وبنيافتكم ، ولا نطيع سواكم ، فنحن لنيافتكم ، وخاضعون لكم ، ومطيعون لاوامركم ، بحيث لا تفقد حريتنا الكنائسية وعاداتنا القديمة المثبتة من الكنيسة المقدسة . . . " .

هذا يعني ضمناً انهم يرغبون بانتخاب بطريرك بديل ، ولا يقبلون بالزائر الذي ، وفق ما جاء في براءة البابا بيوس السادس ، " . . . هو خبير في هذه المسألة التي ثار ثائرها منذ سنين عديدة ، بحيث ما احد سواه ، وهو قد حذقته التجارب ، يعرف اصولها وفصولها ودقائقها كلها . . . " .

٤) وتجدر الاشارة الى ان الطائفة، بعد ان عاد الزائر دي موريتا من روما، والذي اصبح المطران غرافيري، وتوقف في مصر، موفداً الخوري يوسف التيان الى جبل لبنان، محملاً اياه براءات ورسائل المجمع المقدس، مع الرسائل التي كتبها هو الى البطريرك، والى المطارنة، والى الشيخ سعد الخوري، وأوعز اليه وفق ما جاء في تقرير مكتوب للخوري يوسف التيان ومنشور في بصائر الزمان، بانه، اي الزائر الرسولي، لا يأتي الى لبنان "اذا لم تلتمس له رسائل تأمينية من الامير يوسف شهاب، ومن شقيقه الامير احمد، ومن ناظر جمرك بيروت، ومن كل اعلام الطائفة، ومن والي عكا احمد باشا الجزار، اذا دعت الضرورة الى ذلك، وانه عليهم ان يبعثوا بكل هذه الرسائل التأمينية مفتوحة الى القنصل الفرنساوي في صيدا، لينظر فيها ويشهد صحتها، وان على الموارنة ان يعدوا له ديراً ليستقر فيه، مع تقديم النفقات اللازمة له، وانه اذا لم يحصل على مطاليبه هذه، فيذهب الى موضع بعيد حتى يضطر الجميع الى الذهاب اليه". وصلت هذه المطالب مع البراءات الحبرية وسلمت الى اصحابها في قصر سعد الخوري في جبيل، حيث كان موجوداً البطريرك، والمطران جبرائيل مبارك، ورئيس الرهبان الحلبيين العام، ويضيف التيان في تقريره: "... وهنا يعجز القلم عن وصف ما استولى على الجميع من الاستغراب لما قرأت الرسائل والخطوط الرسولية... فأخذ الشيخ سعد يشكو بأعلى صوته بألفاظ خارجة من أقصى طيات صدره قائلاً: لقد عانيت الكروب والانصاب في سبيل انفاذ

اوامر رومية، استئصالاً للنزاع وتقويماً للخلل. والآن أراه متفاقماً، ويوجعني ان تنعت طائفتي بالعصيان، وان تتهم بكونها لم تزل مشايعة لهندية. . . كيف يقول الاب الاقدس اننا لم نطع اوامره؟"

على اثر ذلك، اجتمع كافة الاساقفة مع سعد الخوري في بكركي، وبقي البطريرك في جبيل، ورأى المستشار أن يوفد الى رومية قاصداً عن الطائفة، يبين للاب الاقدس افتراء خصومها عليها، وارسالهم الاخبار الكاذبة، وان يكتب الى الكرسي الرسولي رسالتين، واحدة للحبر الاعظم، والاخرى الى المجمع المقدس، يلتمس فيهما نعمة الكرسي الرسولي للطائفة، واعادة السيد البطريرك الى ولايته.

بعد ان اطلع على هذه الرسائل من الخوري التيان وفق ما جاء في بصائر الزمان صفحة ١٩٢، كتب دي موريتا يقول:

". . . شاع ان الموارنة عقدوا مؤتمراً بعد وصول الخوري التيان الى كسروان، أقرّوا فيه الا يقبلوا الزيارة الرسولية. . .، فلم اثق بالاشاعة في بداية الامر، فان ذلك يبين كون الخوري التيان متقلب الاطوار، ولان رسائلي ورسائل المجمع المقدس الى الموارنة تتضمن ما يجعل كل من الحزبين يعلل النفس بالفوز، فلم اكن اعلم ما الداعي الى هذه البعثة. . .".

هكذا كان الخلاف بين البطريرك وبعض المطارنة هو البداية، ووفاق الجميع كان النهاية.

على اثر موقف الطائفة هذا الواحد، عقد المجمع جلسة في ٢١ ايلول سنة ١٧٨٤، وقرّر اعادة البطريرك الى صلاحياته.

وفي ١١ شباط سنة ١٧٨٥ عاد البطريرك لينشد:
"افتح يا لبنان ابوابك التي اقفلت في وجهي"،
لكن بعد ان كان قد انشد في منفاه وفي بساتين صيدا، حين وضع رتبة زياح الصليب:

"يا ناظرين شدتي — يا مبصرين بلوتي
هل وجدتم من بلي — وصابته مصيبتي
هل من سقي كاسي — واستطعم مرارتي"

وفي موضع آخر:

"قد تركت وخذلت — والبلا كبدي ولج
لا صديق لا ولا من — انسبائي من خرج
كي يزود العار عني — ويسلّي المبتلى
أعقب الظلم انخذالي — واضطراب وبكا".

أثمرت عودة البطريرك يوسف للطائفة وللبنان عدة منجزات، أهمها تحويل دير العائلة الى مدرسة عامة للطائفة المارونية بولاية السيد البطريرك الماروني دون سواه، وطبع احكام المجمع اللبناني الذي، من غريب الصدف، أوقف العمل بأحكامه في نفس السنة التي اقفلت فيها اللجنة الرسولية مدرسة عين ورقة سنة ١٩٥٢.

أترك لحضرتكم ايها السيدات والسادة ان تجيبوا على ما اذا كانت قضية البطريرك يوسف اسطفان قضية خاصة أو قضية عامة، ترتبط بممارسته لسلطانه البطريركي.

أما وقد مضى على عودته مائتا سنة، فمن المفيد ان نعتبر ان ما يؤمن استمرار المؤسسات والدول هو القانون، وما يحفظ النظام في المجتمع هو التمسك بالاصول القانونية، تأميناً للحرية واحتراماً لقدسية القيم، لان ما اؤتمن عليه الموارنة ومن اجله هم مصلوبون على قارعة القارات منذ خمسة عشر قرناً، لا توازيه اية مصلحة مهما علا شأنها، وصخرة انطاكية هي الجزء الاصلب في صخرة بطرس المالك عليها سعيداً الحبر الاعظم اطال الله بعمره.

شعار الملك لويس الخامس عشر
مهدى الى البطريرك يوسف اسطفان

فهرس اسماء الاشخاص والاماكن

- أ -

ابن داود يوسف: ٣٢
ابن سعادة انطونيوس: ٣٢
ابو عسكر يونس: ٩٣
ابو نهرا جوزيف: ١١، ١٩، ٢٢، ٧٥، ١٥٩
آدم جرمانوس (المطران): ٩٨
ادّه جرجس (الخوري): ٨٨، ١١٨
اسطفان (آل): ١٠، ١٣، ٢٢، ٣٢، ٨٢
اسطفان ابراهيم: ١١، ١٩، ٢٢، ١٠٦، ١٥٩
اسطفان ابراهيم (الخوري): ٣٩
اسطفان بولس (المطران) (اخو البطريرك): ٣٣، ٣٩
اسطفان جرجس (الخوري) (والد البطريرك): ٣٣، ٧٦
اسطفان خيرالله: ٣١
اسطفان سمعان: ١٠، ١٢، ١٩، ٢١، ١٥٨
اسطفان موسى (القس) (اخو البطريرك): ٣٣
اسطفان يوحنا (المطران) (عم البطريرك): ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٣، ٧٦
اسطفان يوسف (البطريرك): ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠،

١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨-١٩، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٩٠، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١٠٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٢٩، ١٢٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٥٨، ١٥٩.

اسكندر الرابع (البابا): ١٢٧

اسكندرية (ال): ١٠٠، ١٠١

اشعيا مار (دير): ١٢٥

إفورا: ٣٠، ٤٨

اقليم الخروب: ١٤

اقليمنضوس الحادي عشر (البابا): ١١٢

اكليمنضوس الثالث عشر (البابا): ٥٩، ١١١

اكليمنضوس الرابع عشر (البابا): ١١٤

اكويني (ال) توما (القديس): ٣٥

انطاكيــة: ١، ٤، ١٠، ٢٤، ١٠٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٠، ١٥٨

انطاكيّة: ٨١، ١٠٨، ١٢٧، ١٢٨

انطونللي (الكردينال): ٩٩، ١٠٢

انطونيوس مار (دير – عين ورقة): ٣٣، ٣٩، ٥١، ٧٠
انوش: ١٠٠
اهدن: ٤٣
اهدني (ال) بنيمين جرجس عبيد: ٣٤، ٣٥
اهرينغ: ١٢٢
اوبيتشيني توماسو (Obicini Tommaso): ٥٠
اوروبا: ٢٦، ٢٨، ٩٤

– ب –

باريس: ١١١
برتغال (ال): ٣٠، ٤٨
بريا شللي: ١٢٨
باز جرجس: ٥٦
باز عبد الاحد: ٥٦
بسكال: ١٠٦
بسكنتا: ٤٣
بشير الثاني الكبير (الامير): ٥٥
بصّو ارنلدوس (Besso Arnaldus) : ٤٦
بطرس (القديس): ١٤٠
بقاع (ال): ٤٣
بكركي: ٤، ٨، ٢٩، ٤٠، ٤٣، ٤٧، ٦٥، ٦٦، ٨٩،

٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨
بلوترخوس (Plutarque): ٣٩
بلوزاني (ال) (البطريرك): ٧٨
بلونه: ٦٠
بنديكتوس الرابع عشر (البابا): ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٣٣
بنياتللي: ١٢٩
بوجاد: ١١١
بيـــروت: ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
٤٦ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،
١٣١ ، ١٣٧
بيطار (ال) سمعان: ٤٧ ، ٦٣ ، ٦٤
بيوس السادس (البابا): ٨٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦
بيجا (Beja) : ٣٠ ، ٤٨

– ت –

تابت يوحنا (الاب): ٢٢
توما يسوع (البادري): ٦٨ ، ١٢٩
تيان (ال) ابن سلوم: ١٠٢
تيان (ال) يوسف (البطريرك): ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣٧ ، ١٣٨

- ج -

جامعة الروح القدس (راجع كسليك) كسليك (ال) : ١، ١٢، ٢٠، ٨٤
جبة (ال): ٤٣
جبل لبنان: ٣٦، ٤٩، ٧٧، ١٣٧
جبيل: ٤٣، ١٠٠، ١٣٧، ١٣٨
جزار (ال) احمد باشا: ٥٥، ٦٥، ٩٣، ١١٣، ١٣٧
جميّل (ال) ناصر (الخوري): ١٠، ١٩، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٥٢، ١٥٨
جميّل (ال) فيلبس (البطريرك): ٧٨، ١٠٤

- ح -

حاصبيا: ٤٣
حبيش (آل): ٦٢
حبيش (البطريرك) يوسف: ٣
حدتي (ال) شمعون (البطريرك): ١٢٧
حرفوش ابراهيم (الاب): ٣٠، ٤٢، ٨٧، ٩٧، ١٠٢
حريصا: ٦٩، ٧٠، ١١٧
حلب: ٣٦، ٤٣، ٤٦، ٩٨، ١٣١
حلبي (ال) رافائيل (البطريرك): ١٣١

حلو (ال) آل: ٣٢
حلو (ال) يوحنا (البطريرك): ٨٨، ٩٨، ١٠٤
حويك (ال) الياس(البطريرك): ٢٤
حيفا: ٨٨

- خ -

خازن (ال) آل: ٢٩، ٣٢، ٦٢، ٧٧، ٧٨، ٨٢، ٨٩، ١٢٥
خازن (ال) ابي نوفل: ٣٢
خازن (ال) طوبيا (البطريرك): ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٥٩، ٧٦، ٧٨، ٨٣، ١١١
خازن (ال) ميخائيل حرب (المطران): ٧٩، ٨٢، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١١٢، ١١٩، ١٢٠، ١٣١
خازن (ال) يوسف ضرغام (البطريرك): ٣، ٧٨، ٨٣
خاطر لحد (دار): ٣١
خضير سمعان (Verdi Simone) : ٣٤
خوري (ال) ابي فارس سعد (الشيخ): ٩١
خوري (ال) سعد: ٤٧، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧٩، ٨٢، ٩٣، ٩٥، ١٠٠، ١١٣، ١١٥، ١٢١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨
خوري (ال) غندور سعد: ١٠٤

– د –

دا سيليزيا جرمانو (Da Silesia Germano) : ٥٠
دازيداريو (القاصد): ١١١ ، ١٢٤
دحداح (ال) يوسف: ٩٨
دمشق: ٦٩ ، ١١٣ ، ١١٦
دمشقي (ال) يوحنا (المستشرق المعروف بـ Frei Joao de Souza) :
٣٠ ، ٤٨
دهّان تيودوسيوس (البطريرك): ٩٦
دي موريتا بطرس (القاصد ، راجع غرافيري): ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ،
٨٩ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٣٨
دومينيا: ١٠٣
دون كيشوته: ١٠٧
دويهي (ال) اسطفان (البطريرك): ٢٤
دي بابيانو اغناطيوس(الاب): ٧٠
دي براو فالاريانو (القاصد): ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٤ ، ١١٥
دي برنيس (الكردينال): ١١٩
دير القمر: ٤٣ ، ٩٥

- ر -

رام بو دقن: ٦٠، ٦٤، ١١٤
رفقا (الطوباوية): ١٤
رومـــا: ١٠، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٥٢، ٦١، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١١٠، ١١٢، ١١٦، ١١٨، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٨
ريفون: ٤٣

- ز -

زكريا: ١٠٣
زونداداري (Zondadari) (الكردينال): ٣٥
زوق مصبح: ٤٣
زياده جوزيف (Ziadé Joseph) : ٣١، ٤٥

- س -

سعاده اغناطيوس (الاب): ١٠، ١١، ١٢، ١٧، ١٩، ٢٢، ٣٠، ٤٢، ٨٦، ١٣٥، ١٥٨، ١٥٩

سرفنتيس: ١٠٧
سركيس توما (الخوري): ٨٨
سعد (ال) غندور: ٨١، ٩٨
سمراني (ال) فيليب (الاب): ٣٠، ٩٠، ١١٢
سمعاني (ال) يوسف سمعان (القاصد): ٣ ، ٣٥، ٤٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩
سورية: ٣١
سينوسغيوس باتروس (Cinusghius) (الاب): ٣٤

– ش –

شام (ال) : ١١٦
شحار (ال) : ٤٥
شلق: ٥٠
شلهوب بولس: ٣٤
شليطا مار (دير): ٦٣
شنيعي (ال) منصور: ٣٢
شهاب حيدر (الامير): ٦٢
شهاب منصور (الامير): ٦٢
شهاب يوسف (الامير): ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠، ٧٩، ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١١٥، ١١٩، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧

شهوان ايوب (الاب): ١ ، ٥ ، ١٥٨
شوف (ال) : ٦٢

- ص -

صادر جرمانوس الحلبي: ٣٤
صفراوي (ال) يوحنا (البطريرك): ٧٧
صفير نصرالله (البطريرك): ١ ، ٤ ، ١٠
صفير بولس (الاب): ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٢ ، ١٠٩ ، ١٥٨
صهيوني (ال) : ٥٠
صيدا: ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٣٧ ، ١٣٩
صيدا (شرقي): ١٤

- ط -

طرابلس: ٤٣ ، ١٠٢

- ع -

عاقورة (ال) : ٧٧
عبد الاحد ارسانيوس (المطران): ٦٩ ، ٧٠ ، ١١٦ ، ١١٧

١٥١

عـبـود بولـس الغـسـطاوي (القس): ٣٠، ٣١، ٣٣، ٤٢، ٥٣، ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٥، ١٠٢، ١١٩، ١٢٧، ١٣٤
عجلتون: ٤٣، ٦٠، ١١٤
عـجـيـمي هندية (الراهبـة): ٨، ٩، ١٦، ٥٣، ٥٥، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٩٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٩، ١٢١، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨
عرقا: ٤٣
عكا: ٩٣، ١٣٧
عمر (ال) ظاهر: ١١٣
عمشيتي (ال) ارميا (البطريرك): ٢٤، ١٢٧
عواد اسطفان (المطران): ١١٤
عواد جبرائيل (المطران): ٤٣
عـواد سـمـعـان الحـصـروني (البـطريرك): ٣٧، ٣٨، ٧٨، ٨٣، ١١١، ١١٢، ١٢٤
عواد يعقوب (البطريرك): ٧٨، ٨٣، ١١٢
عين داره: ٧٩
عين ورقة: ٢٦، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥١، ٧٦، ٨١، ١٠٤، ١٤٠

– غ –

غانم يوسف خطار: ٣١

غزير: ٦٢
غسطا: ٤٩
غرافيري (القاصد، راجع دي موريتا): ١٠٠، ١٠١
غراف جورج (Graf Georges) : ٣١، ٣٧
غوسطا: ١٣، ٣٢، ٣٣، ٤٣، ٥٦، ٦٠، ٧٠، ٧٥، ٨٢، ٨٨، ١٠٣، ١١٩، ١٢٠

- ف -

فاتيكان (ال) : ٨٤
فاضل ميخائيل (المطران - البطريرك): ٣٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٦١، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٨، ٨٧، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٥
فتوح كسروان: ٧٧
فخر الدين الثاني (الامير): ٧٧
فردريكوس اندراوس (Fredericos Andraos) : ٤٨
فلسطين: ١٣
فليفل يوسف: ٣٢
فهد بطرس (الاباتي): ٣١
فولني: ١١١
ڤيتالي جوليوس (Vitelli Julius) (الاب): ٣٤

– ق –

قبرس: ٣٢، ٣٦، ١٠١، ١٠٢
قبرسي (ال) اسكندر اندراوس: ٣٥
قبرسي (ال) اسكندر برتلماوس: ٣٤، ٣٥
قشوع بولس: ٣٢
قطار (ال) الياس: ١٠، ١٩، ٢٢، ٢٤، ١٥٨
قنوبين (سيدة): ٣٧
قيالة انطوان (الخوري): ١٠٤

– ك –

كارافا (الكردينال): ٣٥
كازاباشانا: ١١١
كسليك (ال) (راجع جامعة الروح القدس): ١، ١٢، ٢٠، ٨٤
كسروان: ١٦، ٣٨، ٤٩، ٥٣، ٥٧، ٦٢، ٧٧، ٧٨، ١٠٢، ١٣٨
كفر حورا: ٣٤
كرمل (ال) جبل: ١٣، ٢٩، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٣

- ل -

لامارتين: ١١١
لبنان: ١٣، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٤٩، ٥٢، ٦٥، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٥، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١١٠، ١١٣، ١١٦، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩
لويزة (ال) سيدة (دير): ١٦، ٥٣، ٥٧، ١٠٨، ١١٢
لويس الخامس عشر (ملك فرنسا): ١٠٣
لويس السادس عشر (ملك فرنسا): ٨٩، ١٠٤
ليشبونة: ٤٨، ٥٠
ليميناوس: ١٠٣

- م -

مارون (القديس): ٣١، ١٠٣
مارينا: ١٠٣
مبارك بطرس البطحاوي: ٣٥
مبارك جبرائيل (المطران): ١٣٧
مبارك يوسف (البطريرك): ٨٣
محاسب آل: ٣٢

محاسب الياس (البطريرك): ٨٣
مخلوف بطرس ضومط (المطران): ٣٢
مراد (الامير): ٤٣
مرجعيون: ٤٣
مشموشة: ١٢٤
مغرب (ال) : ٤٨
موسى مار (دير): ٦٠
ميفوق: ٨٩، ٩٠، ٩٨، ١١٢

– ن –

نجيم ارميا (المطران): ٣٢، ٣٤، ١٢٧
نجيم بطرس كامل: ٣٢
نجيم يوسف (الخوري): ٨٨
نصرالله جوزف: ٣٠
نعمان بولس (الاباتي): ٢٢
نيويورك: ٣١

– و –

وطا الجوز: ٩٩، ١٠٤

– ي –

يعقوب (القديس): ١٠٣
يواكيم (البطريرك): ١٣١
يوحنا فم الذهب: ٣٨
يوحنا مارون (البطريرك): ٣، ١٠٣
يوسف الحصن مار (دير): ١٣، ٦٠، ٨٢، ٨٨، ١٠٣، ١٠٤

فهرس

صفحة

كلمة صاحب الغبطة مار نصرالله بطرس صفير
بطريرك انطاكية وسائر المشرق ١

مقدمة، الاب أيوب شهوان ٥

أ – المؤتمر الصحفي ١٢

١– الاب بولس صفير، دوافع احياء الذكرى ١٣

٢– الاب اغناطيوس سعاده، رجل في مستوى الاحداث . ١٧

٣– الاستاذ سمعان اسطفان، برنامج الذكرى ١٩

ب – الافتتاحية، الاستاذ سمعان اسطفان ٢١

النَدوة الاولى

١– كلمة مدير الندوة، الدكتور الياس القطار ٢٤

٢– الخوري ناصر الجميّل، نشأة البطريرك اسطفان،
دروسه في روما، كهنوته واسقفيته ٢٩

٣– الاب بولس صفير، اسباب تنحية البطريرك اسطفان
عن ممارسة صلاحياته البطريركية ٥٢

الندوة الثانية

١– كلمة مدير الندوة، الدكتور جوزف ابو نهرا ٧٥

٢- الاب اغناطيوس سعاده، **البطريرك اسطفان وسنوات التحية وما رافقها من احداث وتطورات** ٨٦
٣- المحامي ابراهيم اسطفان، **الوجه القانوني لقضية البطريرك يوسف اسطفان** ١٠٦
فهرس اسماء الاشخاص والاماكن ١٤١
فهرس ١٥٨

تمت طباعة كتاب
الذكرى المئوية الثانية لاستعادة البطريرك يوسف اسطفان الغوسطاوي
صلاحياته البطريركية (١٧٨٥–١٩٨٥)

في الرابع عشر من شهر ايلول
سنة الف وتسعمائة واثنتين وتسعين

عيد ارتفاع الصليب المقدس

قيد الطبع في سلسلة منشورات معهد التاريخ:

٥ – مجموعة محاضرين ، الذكرى المئوية الثالثة لولادة العلاّمة الماروني يوسف شمعون السمعاني (١٦٨٧–١٩٨٧).

٦ – مجموعة محاضرين ، الذكرى المئوية الثانية لولادة البطريرك يوسف حبيش (١٧٨٧–١٩٨٧).

٧ – مجموعة محاضرين ، ذكرى مرور ١٣٠٠ سنة على انجيل ربولا (٦٨٨–١٩٨٨).

٨ – مجموعة محاضرين ، الذكرى المئوية الخامسة لعودة ابن القلاعي من اوروبا (١٤٩٢–١٩٩٢).

منشورات معهد التاريخ في جامعة الروح القدس

٤

الذكرى المئوية الثانية لاستعادة البطريرك

يوسف اسطفان الغوسطاوي

صلاحياته البطريركية (١٧٨٥-١٩٨٥)

مجموعة محاضرين

الكسليك - لبنان ١٩٩٢